Fnon Al-Rafidayn Journal

Journal homepage: https://fnon.uomosul.edu.iq/
ISSN: 2960-1703 (Online), ISSN: 2960-169X (Print)
Open Access Full Text Article
Vol: 2, Issue: 1

# "Renewed Perspectives on the Rulings Regarding the Use of Artistic Images and Statues: A Comparative Conceptual Study"

**Riyadh Arif Hakeem** [1,*]

1 College of Fine Arts, University of Mosul, Mosul, Iraq.

* Corresponding author: e-mail: riyadhah65@yahoo.com

Received: 11 December 2024 Accepted: 09 February 2025 Published: 31 March 2025

**Abstract:**

This research presents a summary and critical follow-up of sources and scholarly works—many of which have received limited attention—that discuss the religious rulings concerning work in the fields of drawing and sculpture. The researcher examines the intellectual and cultural transformations surrounding this debate, focusing on the underlying objectives and meanings of the prohibitive rulings rather than relying solely on the literal interpretations of textual evidence.

Through this approach, the study aims to balance scholarly authentication and contemporary renewal, offering an objective jurisprudential perspective on the legitimacy and reality of practicing drawing and figurative sculpture as a profession.

**Keywords:** Renewed views, The rulings of working, Drawings and Statues.



This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

# نظرات تجديدية في أحكام العمل بالرسوم والتماثيل الفنية – دراسة مفاهيمية مقارنة

رياض عارف حكيم[1]

**الملخص:**

**هذا البحث**؛ خلاصة لمتابعة في بطون مصادر وكتب قليل من تناولها أو ذكرها. لقد كان الباحث يُراقب إفرازات الجدال والتحولات الثقافية والفكرية اتجاه مناقشة الأحكام الواردة في تحريم العمل بمجال الرسم والنحت. فقام بنقد الاحكام استنادا على الأدلة نحو مقصدها ومفهومها.. لا وفق الاحكام المرتبطة بظاهر النص. وبذلك فإن هذا البحث يجمع بين التأصيل والتجديد في موضوعية فِقْه واقع العمل بمجال الرسم والنحت التشخيصي.

**الكلمات المفتاحية:** نظرات تجديدية، احكام العمل، الرسوم والتماثيل.

**مقدمة:**

هذا البحث عبارة عن خطاب شامل يستسيغه المتخصص –الشرعي والفني- ويستدركه كذلك المتلقي العام في نفس الوقت.. بوصفه؛ رسالة أو مراجعة مفاهيمية تناقش قضية **حساسة** (رُكنتْ أو جَمَد) حُكمها على ما قاله اعلام السلف قبل مئات السنين كحكم متواتر أخذ به العلماء الخلف ومفاده: قضية تحريم العمل في مجال فنون (الرسم والنحت) لكل ما له روح من المخلوقات.

إنّ حُكم العمل بفن (الرسم والنحت) قضية أختلف فيها علماء الأصول قبل أتباع التيارات الفكرية التي تحتكم إلى منهج (المنطق) أو العقل في تفسير ظواهر الأمور. حيث وقع الاختلاف ما بين علماء الأصول؛ ما بين الحرمة أو الإباحة أو الكراهة. بل نجد أحياناً البعض قد أعتبر العمل في مجال فن الرسم والنحت "أمرًا مندوباً" مادام أنه قد خلا من علل التحريم "الشرك والتقديس والمضاهاة".

وقد رأى الباحث؛ إنّ مسألة بحث الاختلافات.. والأخذ بمشارب الأقوال ثم الإتيان بالقرائن والأدلة لإثبات موقف يُرضي جميع الأطراف غدا أمراً معجزاً! ولن يُؤتى أُكُله -لا عند أهل الشرع ولا حتى عند أهل المنطق- بل احياناً يُعَّمِق الخلاف أكثر. حيث أن الكثير ممن تحدث وكتب.. قد عقد خطابه على ما يراه، ووفق مفهومٍ ووجهة نظرٍ تناغم فكره وقناعته أو تياره، وخارج دائرة الانفتاح نحو المراجعة والاستقراء. بل وصلت معادلة الحال عند البعض إلى (قصدية الجدال والعمل بالضِّد!).

اما جانب أصحاب الأفكار الحديثة؛ فقد أحدثت الحياة -وعبر تداول الزمن- دعوات تنادي بتحرر الانسان من القيود الفكرية.. بل وصل بالبعض أنْ يُعلن كسرُ حواجز المعتقدات الدينية والاجتماعية، وإطلاق حالة (الاّ قيد) تأثراً بالمذهب "العدمي" أو انتهاجاً لِما جرى في بلاد الغرب ضمن جميع المجالات.. ومجال الفنون الجميلة خصوصاً. مما تولد- بالمقابل- حالة من الانغلاق.. والعضّ بالنواجذ على أصول الدين بكلياته وتفرعاته.. فدفعت هذه الحالة بالاتجاه نحو الزهد بقيمة الفنون الجميلة بشكل عام وفن (الرسم والنحت) بشكل خاص.. وهي بمثابة (ردة فعل) معاكسة لأسباب تتعلق بمظنة التشجيع على (عودة الشرك) وتقديس التماثيل لأصحابها أو (مضاهاةً لله الخالق) في التصوير لذوات الأرواح. بل وصل الامر إلى تحقير دراسة الفنون الجميلة. وهو تيار تَفَهّمَ النصوص الواردة في السنّة النبوية بشأن (الفنون الجميلة) صوتاً أو صورة على ظاهرها دون جمعها والموازنة بينها وتمييز

١ كلية الفنون الجميلة – جامعة الموصل

الصحيح من السقيم منها، ودون مراعاة الظروف التي قيلت فيها والمقاصد التي ابتغاها النبي صلى الله عليه وسلم، ودون النظر في نظام الفطرة التي فطر الله تعالى البشر عليها، فيُحُكم على تلك الفنون حُكماً واحداً بالحرمة القطعية [٢].

وبذلك غدت الصورة الجمعية لدى كثير من العلماء والوعاظ فضلا عن عموم المجتمع العربي والاسلامي تنطق وتُقْرن (الفن) بفساد الاخلاق والفطرة. ومع الأسف.. وبالرغم من وجود الانفتاح عند بعض العلماء في خطابهم الشرعي.. إلا إن الباحث يجدُ (جُلُّهُ) لم يبرأ من الحيطة والوجل والأخذ بالأحوط من باب (سد الذرائع). وكذا وجدنا الخطاب المنطقي قد تجاهل الروايات الاصولية- مطالعةً وفهماً- وركزَّ في مناقشته للقضية وحكمه على "مبنى العقل" والروايات التاريخية حصراً. مما جعل (إتيان الكلام) -وإنْ كان موافقاً للعقل والمنطق- إلا أنه بمثابة شهيق لا يخلو من غصّة. لقد كانت فترة ليست بالقصيرة... والاطراف باختلافاتها، والمجتمع بمفهومه القاصر (يرقدان) على فكرة تعميم الخطأ. ومنذ زمن والباحث يتابع الموضوع ويستقرئ انعكاساته وتقاطعات الآراء، وتناقضات المواقف في (الواقع والثقافة) من جانب وعموم المجتمع من جانب ثانٍ. حتى دق جرس الانذار! في الفكر والثقافة ضمن وجهتين:

الأولى: ظهور حالة من الانقلاب وتبدّل المفاهيم والممارسات لدى البعض ممن درسوا وأتقنوا مجال فن الرسم والنحت خاصة، الامر الذي دفعهم إلى المراجعة والتريث فيما يمضون به... فانعكس الحال على الكثير من طلبة الفنون الجميلة -والرسم والنحت- على وجه التحديد. فوصل بطالب الفنون؛ يدرس ثم يستحصل شهادته وهو تائهٌ بين جواز العمل في مجال (الرسم والنحت) لذوات الارواح من عدمه؟، وغدا هنالك الكثير ممن يشّككُهُ في قيم الفنون وتأثيرها في بناء الانسان والمجتمع. فإن كان هذا حال البعض ممن هو في الوسط الفني؛ فلا عزاء على بعض الافكار السقيمة (المتطرفة) التي طفت على السطح وهي تتخذ ظاهر النصوص (أحكاماً) فتعكسها بممارسات تعبث بشواخص التاريخ والحضارات لأعمال.. تُعَدُ اليوم ضمن التراث الإنساني. فأحدثت تشويها لصورة الإسلام.. بل وأسهمت في اتساع دائرة الانذار (بتفتيق) ظاهرة (الإسلاما فوبيا). ولربما خَلفُها أطراف تسعى لتوسيع الشرخ – من حيث تدري أو لا تدري- ليصب الامر كُلّه في قضية تجهيل الإسلام! واعتباره منهجاً يعادي التطور والمدنية والحضارة.. وهذا هو (الوجه الثاني) في جرس الإنذار! والذي دفع الباحث لجمع شتات الأوراق والأفكار لينظمها كبحث، آخذاً بنص القول المشهور "ما حكَّ جلدكَ مثلُ ظفركَ* فَتَوَلَّ أنْتَ جَميعَ أمركْ".[٣]

ولذلك وجد الباحث؛ إنّ من الأولى أنْ يقوم ببحث الأمر خارج (دائرة الجمود) والحيطة والتردد، نحو (دائرة الحركة والتجدد) في مناقشة أحوال النصوص والأفعال وفق مقاصدها ومآلاتها. ثم الشروع في تبيان التحولات الفكرية لمفهوم الفنون التشكيلية عند المسلمين الأوائل لاسيما وفن (الرسم والنحت) على وجه الخصوص وديناميكيتهما وفق دلالات لا تتعارض مع أصول التشريع ومنها (القرآن – السنة النبوية- الاجماع –القياس) كعلامات فارقة ومميزة في استنهاض الحضارة الإسلامية وسط عموم الحضارات الاخرى في أراضي الفتوحات عموما، وفي بلاد الأندلس أنموذجاً.

**منهجية البحث:**

دراسة نقدية مقارنة في الفكر ومقاصد العمل في مجال الرسم والنحت التشخيصي.

**الإطار النظري:**

**<u>أولا: مشكلة البحث:</u>**

ضعف الوعي بأهمية الفنون لدى الملتزمين بأصولية وحرفية النصوص، والزهد بقيمة فن الرسم والنحت كمنتج انساني، واعتبار دراسة مجال (الرسم والنحت) او العمل بهما مسلكا مضادا لقيم الفضيلة والشرع الاسلامي، وتودي بصاحبها الى الهلكة

[٢] . أ. د محسن عبد الحميد- الفنون الجميلة من المنظور الإسلامي- ص٥

[٣] . مطلع من قصيدة للأمام الشافعي.

سيما وافساد الفطرة. مما أحدث هذا الاعتبار فجوة في الفهم والممارسات بين المجتمع الانساني بشكل عام والمجتمع المسلم بشكل خاص. مما أنتج الواقع وفق حتمية المخالفة؛ ممارسات متطرفة! تعكّزَ اصحابها على ذات المعايير في فهم ظاهر النص والحثّ على الالتزام بحرفيتها، فأدى الامر الى تولد صورة مشوهة عن الاسلام من جانب.. وهدم معالم التاريخ ورموزه المتمثلة بأعمال تمثل معالم التراث الانساني العالمي. فظهرت انعكاسات تقوم على تجهيل الاسلام باعتباره دين لا يوائم الحياة والمدنية. فأفرز الأمر ظاهرة (الاسلاموفوبيا) التي احدثت حالة النفور من قبل المجتمع العالمي تجاه الاسلام بشكل عام والمناخ الفني بشكل خاص في خضم تجدد الحياة وصراع الافكار وتمايزها على ارض الواقع.

**ثانياً: أهمية البحث**.

تكمن اهمية هذا البحث؛ بكونه خلاصة بحثية لفنان تشكيلي لفترة طويلة ضمن مراحل من المراجعات -استقراءً وتحليلاً واستنباطاً- معتمدا على مصادر مُحكَمة، فضلاً عن مناقشات لأهل العلم في وجهات الاحكام، وبالإضافة الى متابعة لأغلب ما كتب من آراء بهذا الخصوص قديماً وحديثاً. وهو يقدمها على شكل نظرات متجددة كمفاهيم قائمة على نقد مقارن لأحكام العمل في مجالات الرسم والنحت التشخيصي.

**ثالثا: اهداف البحث**.

الوقوف على الاختلافات بين جواز العمل في مجال الرسم والنحت للأعمال الفنية التي تخلو من علل التحريم (الشرك والتقديس او المضاهاة)، ونقدها في ضوء ما أوردته مصادر التشريع الاسلامي ومنها (القرآن الكريم والسنة النبوية والاجماع والقياس)، كمراجعة واستقراء تجديدي في فهم النصوص الشرعية وفق مقاصدها ومآلاتها من الوحي الى العصر. وتقديم الممارسات الفنية التي قام بها المسلمون في مجال الرسم والنحت، والتي تعكس لنا صورة الاسلام بكونه دين متجدد لا يقوض المهارات والابداع، بل جعل من تلك الاعمال لمحات توحي بعظمة منهجه وحضارته من مشرق الارض الى مغربها.

**إجراءات البحث**

**مبحث النظرة الأولى**

**و اقع الفنون التشكيلية ضمن رؤية مقارنة**

**كان من الضروري**؛ ان يتقدم بهذا.. كتمهيد ولمحات لخصائص (الفنون التشكيلية) والمخرجات النفعية والمفاهيمية في التعبير عن أهمية تلك الفنون في الماضي واتصالا بالواقع المعاصر، فضلا عن دورها ضمن التحديات والمنافسة بين مجتمعات الحاضر. وخصوصا عندما أوصلت عملية (عدم الاهتمام بقيم الفنون بشكل عام والفنون التشكيلية بشكل خاص) تجهيلا في المفاهيم سيما والتباسات عند البعض.. فبات من لا يعرف ما لفنون التشكيلية؟ بحيث لا يفرق في الفهم؛ بين اللوحة التي تحمل أحد أساليب المدارس الحديثة وبين المعنى الاصطلاحي للفنون التشكيلية وما تتضمنه. فتعتبر الطبيعة بمثابة المنظور المادي للوحي الالهي الذي أوجد بالتناظر مع الوحي الكلامي المتمثل بالكتب السماوية المقدسة، فيتجلى للمتفكر بان كلا الوحيان مصدرهما من مشكاة واحدة (الله الخالق المبدع). فالله خالق الكون.. ولم يخلق الانسان شيئاً.. لأن عمله لا يُعَدُّ سوى أنْ يكون تجميعاً للعناصر والخامات التي يجدها في الطبيعة. فالكيميائي لا يخلق خامة جديدة. بل يجمع بين العناصر لإيجاد تكوين كيميائي جديد. والزارع يضع بذرة النبات في الارض بعد تسميدها فينبت الزرع. ولا شأن له بقدرة البذرة على الإنبات أو قدرة السماد على زيادة خصوبة الأرض. فما فعله الزارع ليس أكثر من ان يكون جمعُ- بذكاء- لعناصر لم يبذل جهداً في خلقها. وكذا الفنون الانسانية جميعها تخضع لعملية تجميع العناصر لإيجاد تكوين جديد. وإن دور الفنان فيه ليس إلا أداة لتنظيم هذه العناصر وفقاً لنمط أو نهج رآه معبراً عن ميوله وأحاسيسه. كما إن الفنون لن تَخلقَ العناصر وإنما تُشّكلُ العناصر. وإن من غرور الإنسان أنْ ينسبَ لنفسه فضل (الخلق الفني)

للتعبير عن عمل لا يُعَدُّ أن يكون تجميعاً وفقاً لتنظيم أو ترتيب معين رآه أو كان كامناً في اللاشعور[٤]. ومن هذا الوحي المنظور المختزل ضمن كلمة (الكون) تمنحنا الارض - بكونها إحدى عناصره- قاموساً ومصدراً لإلهام الانسان بشكل عام والفنان التشكيلي بشكل خاص. سيما ومنبعاً للقوانين والمعايير المادية والحسية، التي ينضبط الفنان بها عند انتاجه لعمله الفني.. أو ينضبط بها عموم الناس في تيسير عيشهم. تلك القوانين التي تتجسد كقواعد رياضية متمثلة في خلق الانسان وما فيه من الفوارق النسبية في بدنه حجماً وشكلاً ولوناً، فضلا عن سائر المخلوقات الحيّة المتحركة وفق سنن الخلق. وكذلك ضمن الأفق الواسع الرحب فإن تلك القوانين تتكفل بتغيير ظواهر الطبيعة من تجميع عناصر الموجودات أو تشتيتها تحت تأثير نواميس العوامل أو الظواهر الاخرى مثل (المطر – الرياح –الزلازل- الاعاصير- المد والجزر.. وغيرها)، فتتشكل على قشرة الارض مشاهداً وصوراً ضمن ترتيب إبداعي خلّاق تكون محراباً وجذوة للإلهام في وجدان الفنان. لقد كانت الفنون التشكيلية وماتزال؛ بمثابة دواوين الحضارات وأرشيفها، فلولا سمفونية الازاميل التي "طنطنت" على صخور والواح (الجرانيت والبازل).. لَما أضحت بلاد العالم بمتاحفها تحمل (قيَماً عالية)، وتستقبل روادها لتحتضن أبصارهم (مسلات وجداريات) تحكي مواثيق وقيم أقدم الحضارات على وجه الأرض، ومنها حضارتي (وادي الرافدين ووادي النيل). وبذلك عرف العالم؛ أنّ الحضارات منذ أقدم العصور تقوم وتتكون وفق سنن ومنظومة قوانين.. تحفظ للأفراد حقوقهم وللبلاد أمنها ومستقبلها. فتلك المنحوتات البارزة والصور التي طرّزت جدران القصور والحصون والمقابر وهي تحوي على مشاهد؛ تروي لنا اليوم واقع حياة المجتمعات (بلا تحريف)، وكأنها فيلم وثائقي (يُترجم) اهتمامات السالفين بكل مستوياتهم.. من منظومة الملوك ومن حولها وحتى منظومة الرعية والافراد. وأما المتذوق المتأمل ملياً بها فربما؛ سيستشعر -افتراضيا- بأصوات احتدام المعارك (بصهيل خيلها) و(هيْقعَة سيوفها) و(زمخرة السهام).. كالذي يراقب الحياة من خارج الحدث كمشهد بانورامي.

بمقابل هذا الجمال والابداع الأخاذ؛ كانت هناك أعمالاً نحتية قد انحرفت وجهتها ومقتضاها لأسباب تتعلق بالفراغ العقائدي، وعضّدها الاغراق السياسي والوجه التجاري. فكان نصيبٌ من تلك التماثيل ان تصوّب نحو (التقديس) في العبادة والشرك بالله، ومنها على سبيل المثال ما حصل في الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية. فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً للعالمين، حُرّمت (عبادتها) وأُحظر عملها. ودعا الإسلام الى تحطيمها في القلوب (معنوياً) قبل تحطيمها في الوجود (ماديا). فلما فُتحت مكة في السنة الثامنة للهجرة -بعد إحدى وعشرون عاماً من البعثة النبوية؛ فإن تلك التماثيل التي كانت تتخذ للعبادة قد تمّ تحطيمها وإزالتها.

وهنا وجد الباحث كشفاً تاريخياً مختلف: حيث أن الإسلام لم ينظر إلى تماثيل اخرى في اراضي الفتوحات بنفس ما تعامل به مع ما في أرض الجزيرة. فقد كان تمحيصه للأمر وفق مقاصد التمثال ووجود علّة الشرك من عدمها، بكون الإسلام دين يقوم على الفهم والعقل والبيّنة والوضوح والتثبت بعيداً عن الظن والعبث. ولا يفوتنا أن ننبه إلى مسالة مهمة؛ إنّ نظرة المسلمون الأوائل إلى قضية (التماثيل) لم تكن بمستوى ومرحلة واحدة، وإنما ضمن مستويات ومراحل ثلاث! فمثلا: التماثيل (قبل فتح مكة) لم نسمع عنها حديثاً صريحاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحرّم صناعتها أو يأمر بتحطيمها، وإنما كان الخطاب ينزل بآيات قرآنية وفق أسلوب المقارنة للتدبر! بين الله (الخالق) وبين تمثال أصم، سيما وآيات أخرى نزلت تؤكد النهي لعبادة تلك التماثيل(الأصنام) المتعددة والتوجه إلى عبادة الله الواحد الأحد وهذه كانت المرحلة الأولى. والمرحلة الثانية كانت في المدينة المنورة؛ وفيها كان الخطاب صريحاً ليس فقط لعابدها بل (تجريم)عاملها ايضاً. حتى إذا جاء يوم فتح مكة -بعد ٢١ عاماً من البعثة- وقد دنى صلى الله عليه وسلم من الكعبة ثم أبى ان يدخلها!، حتى يستخرجوا ما بداخلها من التماثيل التي كانت تعبد وتقدس من دون الله.. فأمر بتحطيمها. والمرّجح ان معظم الأحاديث الشريفة التي قيلت بحق (تجريم) من يصنع الاصنام كانت ضمن العهد المدني وليس قبله.

[٤] . عبد الفتاح رياض – التكوين في الفنون التشكيلية – الطبعة الخامسة- ص١١.

أما المرحلة الثالثة؛ فكانت عندما استقر التوحيد في الجزيرة، وجاء عصر الفتوحات والاتصال بالأمم الاخرى، أخذ الصحابة يتعاملون مع التماثيل وفق مفهوم؛ يقوم على التفريق بين التماثيل التي تُعبد من دون الله (الاصنام) واخرى لا علاقة لها بذلك.

فقد أخبرتنا كتب السيرة والتاريخ بأنه؛ عندما فتح الصحابة الكرام الأراضي والامصار، وجدوا فيها من التماثيل الضخمة مالم يشاهدوه في الجزيرة العربية، ولكنهم لم يسعوا إلى تحطيمها ولا لطمس ملامحها، بكونهم لم يجدوا من يتخذها للعبادة، فالأصل في الإسلام (الاباحة) مالم يتداخل عمل فيه (علّة ما) وردت ضمن نص. فالأحكام تدور مع العلّة وجوداً وعدماً، حتى إذا زالت العلّة زال الحُكم وعاد الامر إلى دائرة الإباحة.

لقد كانت "سِمَةُ" المفهوم العام للمسلمين أثناء البعثة النبوية وعصر الخلافة الراشدة في جزيرة العرب، تدفع بالثبات والالتزام بالنص في التعامل مع الرسوم والتماثيل (الدينية) التي تلامس العقيدة كقضية حساسة قريبة بالعهد الشركي، لاسيما ومجانبتها لصدمة (الردة) للبعض أو(تفلت) البعض الاخر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. ولذلك احتفظ الخطاب بسقفه العالي التزاما بما كان على عهد بداية البعثة.. إلا بخصوص الصور الممتهنة أو الأعمال التي فرغت من التقديس والعبادة في الاراضي والامصار ومنها ما ظلت خالدة حتى يومنا هذا.

وعليه؛ اقتصرت الفنون التشكيلية في المجتمع الإسلامي يومئذ على الدور (التوظيفي) ضمن مجال الاستخدامات اليومية ومنها: تلك التي تتخذ للعب الاطفال أو الزينة. وقد أثّر ذلك التحفظ على المفاهيم ضمن سمتها الأول لِمَا بعد عصر الخلافة الراشدة. حتى إذا تجذرت عقيدة التوحيد في النفوس، واتجهت بوصلة الفتح لتأخذ (دوراً عالمياً)..، وجدنا استحداث الخطاب يأتي موافقاً ومحاورا لتلك الحضارات التي سادت في تلك الامم قبل فتحها، ومنها بلاد الاندلس. فحملت الحضارة الإسلامية في جانب الفنون شكلاً جديداً يتوافق مع استقرار "مبدأ التوحيد" في النفوس، وتناغماً مع ثقافة شعوب الحضارات الأخرى. فتحول الفنان المسلم من تجريد التوظيفات الزخرفية إلى تجسيم التوظيفات الفنية. فالأندلس كوطن.. تديّن كثير من ساكنيه يومئذ بدين الإسلام. وأضحى الامتزاج الديني والاجتماعي واقع حال بين افراد المجتمع الاندلسي. حيث حقق المسلمون فيها أروع الابداع في مجال الفنون التشكيلية. فغدت الاندلس معلماً حضارياً وقبلةً للزائرين حتى وقتنا الحالي. ومثال منها؛ جامع قرطبة بعمارته وزخرفته والنقش البارز والغائر الذي يعد ملحمة في (عالم الريازة والزخرفة). وكذا قصر الحمراء في غرناطة الذي تتوسط باحته (نافورة السباع) المثيرة [٥]، التي تمثل في وقتها إنجازاً علمياً وفنياً كبيراً، وخصوصاً فيما يتعلق في سرِّها كساعة مائية تتدفق المياه من أفواه أسودها (ساعة بعد ساعة) وأسد بعد أسد، ولم يفهم المعماريون الاسبان من قرون لاحقة سرّها العلمي والتقني فضلا عن غيرها من الأعمال الاخرى

إنّ الاستقرار الايماني لمبدأ التوحيد الإسلامي وانتشاره كظاهرة كونية، قد فسح المجال للطاقات الابداعية ان تتفتق. فظهرت اعمالاً وصوراً اخرى في الاراضي العربية تحمل عناصراً وتشخيصاً لذوات الارواح ومنها على سبيل المثال (رسوم الواسطي) لمقامات الحريري، والتي زيّنها "بمائة منمنمة" من رسومه ضمن "الخمسين مقامة" في جانب الرسم [٦] بعد ظهور مدرسة بغداد للتصوير في العصر العباسي. واليوم، وبعدما غدا الدّين هوية تنشأ لصقاً بالمولود تبعاً لدين أبويه، لم يبقى شك ولا وجل بوجود تمثال في شارع أو حديقة سوى لمبتغى جمالي أو رمزي. ولا تحظى اليوم مهمة (تعلم الرسم) والتدرج في دراسته لمبتغى مضاهاة الخالق! بل لمبتغى وجداني صرف بعيداً عن (استلهام مظنة الشرك). كما وأصبح (الحلال والحرام) كل منهما (بائن) ومعرفته جلية.. وإن كَثُرَ أو قلّ العابدون. فالمفهوم الفكري المعاصر وسط تعدد الافكار والمناهج بات لا يتشابه ولا يُقرن بالمفهوم الفكري الذي كان قبل أكثر من

[٥] . وهي عبارة عن نافورة ماء، يحمل حوضها المرمري المستدير الضخم، اثنا عشر أسداً اصطفت بشكل دائري تقذف بالماء من أفواهها وتنساب في قنوات، موجودة حاليا في قصر الحمراء –غرناطة جنوب اسبانيا.

[٦] وهو يحيى بن محمود بن أبي الحسن الواسطي رسام وخطاط عربي ولد في بلدة واسط في جنوب العراق بداية القرن الثالث عشر الميلادي. عاصر جيلا من مفكري بلاد الرافدين امثال المؤرخ ابن الاثير والعالم ابن الرزاز الجزري والجغرافي ياقوت الحموي.

(١٤ قرناً) وفق تعدد مراحله. فالأحداث والظروف والبواعث والمآلات كلها تغيرت عن ذي مضى، كما وأن الحرفيّ الذي كان يصنع التمثال في شبه الجزيرة لا يشابهه (فكراً أو ممارسة) الحرفيّ الذي صنع تماثيل سلالة الفراعنة. وبالتالي سوف نجور على (الانصاف) إذا ما حاولنا المقاربة بين فكر ومقصد الفنان في الوقت الحاضر وبين أولئك الحرفيين في تلك العصور. فوجهة الفنان التشكيلي ونيّته اليوم (رساماً أو نحاتا) ليست وفق الوجهة التي كان بسببها وضع (الحظر والتحريم). بل باتت الوجهة اليوم تبعاً لمعطيات (ثقافية حضارية ومدنية) نذكر منها الاتي:

١. التنافس الفني مع أقرانه في اذكاء الذوق الجمالي وتحقيق التميز من خلال تقديم تجارب فنية وأساليب جديدة ومتنوعة تخاطب عموم الذوق العام ضمن مقتنيات عامة في الشوارع والساحات لتمثل مآثر الوطن وتاريخ الشعب أو مقتنيات خاصة تزين الشوارع والمتنزهات فضلا عن جدران البيوت.

٢. الاسهام في تحقيق وسائل ايضاح تقرب إلى أذهان الدارسين كأصل مقارب للقصد؛ كجسم الانسان وما حوى من الهياكل العظمية ومفاصلها، والحيوانات والحشرات وسائر الدواب. فضلا عن الصور الارشادية الاخرى التي تخص الدراسات الأولية للأطفال.

٣. إغناء وإحياء الارث الثقافي بما يدل أو يشير على طبيعة الافكار والمجتمعات واحوالها. فكما عرفنا من الفنون التشكيلية البواعث والاحوال للمجتمعات السابقة، فإنما ما يقوم به الفنان اليوم؛ بث الروح في الثقافة المجتمعية ضمن رسالة مستمرة للأجيال اللاحقة إلى ما شاء الله.

**ومن هنا يقول الباحث:**

لقد غدت الفنون التشكيلية بشكل عام والنحت والرسم بشكل خاص مجالات تبحث في نواحي الجمال والتذوق الذي يناغم الوجدان، فصار اهتمام المجتمعات المتمدنة بالتنافس في اقتناء الأعمال لتزيين الواقع من البيت انطلاقا نحو الشارع والمؤسسات العامة، حتى أمست.. لا تنشأ الحضارات الا وسمتها الأول (الفنون التشكيلية) والرسم والنحت احدى ظواهرها مثل ما كانت في السابق دواوينا للحضارات.

**<u>مبحث النظرة الثانية</u>**

**فيما استثناه العلماء من "الحرمة" و إباحته من (الصوروالتماثيل)**

لقد وردت نصوصاً في القران الكريم والسنة النبوية استند اليها العلماء السالفين واللاحقين بمثابة (موجهات) لتحريم العمل في مجال (الرسم والنحت) وخصوصاً الأعمال التي (تستنسخ المخلوقات) ذوات الارواح (انسان-حيوان- حشرة).. والخ. وبالمقابل وردت أحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم -أو إجماعاً للعلماء سيما وقياساً- في استثناء بعض الصور (نحت أو رسم) ونقلها من دائرة التحريم إلى دائرة الاباحة لأسباب سندرجها لاحقا ازاء كل منها.

وقد وجد الباحث مستحسنا؛ تسليط الضوء على ما استثناه الشرع وقياس العلماء من الصور التي تُعتبر ضمن دائرة (الاباحة) وجواز العمل بها -ان كانت ذات بعدين أو المجسمة من ثلاثة ابعاد - وجعله أمراً مقدماً قبل الشروع بسرد النصوص القرآنية أو الأحاديث أو الأحكام التي تحرم (رسم أو نحت) المخلوقات ذوات الأرواح. وذلك حتى يتم حصر الاستدلال -بعيداً عن الخلط والالتباس- وتتوضح الامور ضمن مناقشة النصوص التي تحوي (علل التحريم) التي وقفت عندها الاحكام القطعية بعدم الجواز العمل بها، والتي من أجلها قام بحثنا هذا. وندرج ادناه تلك المجالات التي تعتبر ضمن (دائرة الاباحة) كلٌ حسب الاتي:

١. كل "صورة أو تمثال" ليس بذي روح كتصوير الجمادات والأنهار والأشجار والمناظر الطبيعية وأمثالها "لا حرمة في تصويرها".. لاستدلال العلماء بحديث ابن عباس رضي الله عنه حين سأله الرجل إني أصور هذه الصور فأفتني فيها (فعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَبَا عَبَّاسٍ إِنِّي إِنْسَانٌ إِنَّمَا مَعِيشَتِي مِنْ صَنْعَةِ

يَدِي وَإِنِّي أَصْنَعُ هَذِهِ التصاوير، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ألا أُحَدِّثُكَ إِلى مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ " مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فَإِنَّ اللَّهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّى يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ فِيهَا أَبَدًا " فَرَبَا الرَّجُلُ رَبْوَةً شَدِيدَةً وَاصْفَرَّ وَجْهُهُ فَقَالَ (أي ابن عباس): وَيْحَكَ إِنْ أَبَيْتَ إِلا أَنْ تَصْنَعَ فَعَلَيْكَ بِهَذَا الشَّجَرِ كُلِّ شَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ)[٧].

ومن هنا يتبين ان كل شجر أو جماد (جبال أو مباني أو شوارع أو سيارات) وما شابه ذلك.. ضمن دائرة "الاباحة" وجواز العمل بها وفق حكم ما جاء في قول ابن عباس.

٢. كل صورة تكون ضمن زخرفة تدخل على قماش أو بساط.. الخ. ففي صحيح مسلم عن بسر بن سعيد قال: ثم اشتكى زيد بعدُ فعدناه، فإذا به على بابه سترٌ فيه صورة قال: فقلت لعبيد الله الخولاني ربيب ميمونة بنت الحارث زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معه: ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول؟ فقال عبيد الله. الم تسمعه حين قال:" الا رقماً في ثوب".[٨]

٣. الصور الشمسية (الفوتوغرافية) بكونها صورة مستحدثة لم تكن في عهد سابق، فقد أوّلَ العلماء بانها عبارة عن (حبس للظل) بالوسائط المعلومة لأرباب هذه الصناعة، ما لم يشتمل موضوع الصورة على محرم؛ كتقديس صاحبها تقديساً دينياً، أو تعظيمه تعظيماً دنيوياً.

٤. ذهب عامة أهل العلم من المذاهب وغيرهم إلى أن الصور المسطحة إذا كانت ممتهنة جاز استخدامها استنادا لأفعال قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم أو سكت عنها. والصور الممتهنة هي التي تدخل في مجال الاستخدامات اليومية مثل لعب الاطفال وتتبعها كذلك (الفرش والملابس والنقود والصحون والنقوش على الاثاث فضلا عن تماثيل الحلويات التي تأكل... الخ) اي التي لا ترفع وتعلق فتدخل في مجال التعظيم[٩].

٥. كل صورة ناقصة أو اجزاء ليست متصلة الهيئة كصورة اليد وحدها مثلا، أو العين، أو القدم وحتى نصف تمثال، فإنها لا تحرم لأنها (ليست كاملة الخلق) استنادا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: (أتاني جبريل فقال لي أتيتك البارحة فلم يمنعني أن أكون دخلت إلا أنه كان على الباب تماثيل وكان في البيت "قرام" وستر فيه تماثيل وكان في البيت كلب فمُرْ برأس التمثال الذي في البيت يُقطع فيصير كهيئة الشجرة ومُرْ بالسِتر فليقطع، فليجعل منه وسادتان منبوذتان توطآن ومُر بالكلب فليخرج) ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وهذا لفظ أبي داوود ولفظ الترمذي نحوه. ولفظ النسائي: استأذن جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال (ادخل) فقال (كيف أدخل وفي بيتك ستر فيه تصاوير؟ فإما أن تقطع رؤوسها أو تجعل بساطا يوطأ فإنّا معشر الملائكة لا ندخل بيتا فيه تصاوير)[١٠]. وبذلك اعتبر العلماء إنّ اجزاء ذوات الارواح أو الناقصة الاعضاء ضمن دائرة الاباحة، لان الله لا يخلق الا كاملا.

٦. البعض من العلماء اجاز الصور والتماثيل الكاملة التي تستخدم كوسائل علمية كالهيكل العظمي أو مشاهد اجزاء مما داخل الجسد وغيرها، اسوة بالتصاوير الناقصة، لان الله لا يخلق خلقا ناقصاً.

٧. البعض من العلماء أجاز من ذلك كل ما ليس له ظل (الرسم المسطح ببعدين، ولم يجيز التماثيل)، وبعضهم اجاز اقتناء الصور بأنواعها، ولم يجيز العمل بها، بكونهم استندوا إلى ان أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والتي شدّدت على من يقوم بعمل ذلك فقط.

---

[٧] . صحيح البخاري (٢٢٢٥) ومسلم (٢١١٠).

[٨] . د. يوسف القرضاوي – الحلال والحرام في الإسلام- ص١٠٦

[٩] . رد المحتار ٦٤٨/١, مواهب الجليل ٥٥١/١, مغني المحتاج ٤٠٨/٤.

[١٠] . د. يوسف القرضاوي – المصدر السابق – ص ١١٦.

من هنا يتبين لنا؛ مقدار مساحة الاباحة في مجال الرسم او النحت لذوات الأرواح وفق تعليل وقياس العلماء لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في مجال التصاوير. وبالرغم من وجود تباين واختلاف في آراء العلماء -تعليلا أو استدلالًا- ضمن تلك المساحة. ظهر لنا المساحة (غير المباحة) أو التي تقع ضمن دائرة (الحرمة أو الشبهة) استنادا إلى النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة الواردة بهذا الشأن، والتي سنسردها في النظرات التالية. وكذلك يرى الباحث إرجاء المناقشة ونقد شأن (التصاوير المباحة) إلى النظرات اللاحقة ضمن تداخل ومناقشة اصول الأحاديث الواردة واستشهادات مقاصدها عند إجراء عملية المقارنة ضمن مقاصد الحرمة من عدمها.

**مبحث النظرة الثالثة**

**أبرز آيات القرآن الكريم التي أوردت مُسّميات وسائل الشرك ومناقشتها**

لقد تحدث القران الكريم عن الشرك ونبذ وسائله بكل أشكالها -صنمية أو وثنية- حيث انطلق القرآن في خطابه من وسط الحدث، وخصوصاً؛ عندما أضحى داخل الكعبة وما حولها ما لا يقل عن (٣٦٠ صنم) شركي.. تذبح النذور وتقرب لها. فما بالكم بحال مكة كُلّها...! ثم الجزيرة العربية بأشملها، لَمّا غرقت بأنواع وأحجام من تلك الاصنام. فبدأ النص القرآني ينزل (مستنكراً) أعمال الشرك بالله تارة؛ "وتسفيهها" تارة اخرى، ضمن خطاب لا يخلوا من الاشارة لأفعال اقوام سابقين قاموا بنفس هذه الفعلة. ووجدنا من العسير إيراد جميع تلك النصوص القرآنية التي لمّحَتْ في أفعال الشرك، وربما يعجز المُطّلع بحصر الفهم والمقصد. ولذلك؛ اكتفينا بإيراد النصوص التي صرّحت وحملت تنوع لفظ "اسماء" الوسائل المنسوبة للشرك وفق ما وردت بنص الفاظها المتعددة ضمن الآيات الكريمة مثل: (نصب - صنم – تمثال- وثن). وعليه قمنا بوضع خطوط تحت تلك الالفاظ عند ذكرها ضمن النصوص القرآنية، والتي تخص صُلب موضوع مناقشتنا، ليتسنى لنا الاشارة لها عند تناولنا "لمقاصد" تلك الآيات (فهماً وتأويلاً) بعد سردها. ومما لا شك فيه؛ هناك فروق بين مفردات هذه الالفاظ - كل حسب معناه- عند العرب وفق تعريفاتها الآتية:

**الانصاب:** ومفردها نُصُب أو نُصُب: وهي حجارة بأشكال طبيعية لا يتدخل الانسان في صياغتها، وكانت موضوعة حول الكعبة. وأهل مكة -في الجاهلية- يقومون بالذبح عندها[١١]، فكانت تقدس لأنها اصطبغت بدماء النذور والقرابين التي تقدم للأصنام.

**الاصنام** ومفردها صَنَم: وهو كل ما يعبد من دون الله أو يشرك به من الجمادات "**التي تصنع بيد الانسان**" كتماثيل الحجر أو الخشب أو أي خامة تمتلك قدرة الاحتفاظ بالهيئة العامة لمدة طويلة دون تلف.

التماثيل: ومفردها تِمْثال: وهي كل ما يصنعه الانسان بيده من حجر أو خشب أو طعام أو اي خامة اخرى.. (وليس بالضرورة ان يتخذ للعبادة أو يقدّس). ومنها لعب الاطفال أو تماثيل الحلويات أو تماثيل الزينة ومنها ما وردت عند النبي سليمان عليه الصلاة والسلام.. والتي سنأتي على ذكرها لاحقا ضمن المناقشة.

الأوثان: ومفردها وَثَن: وهي كل ما يعبد من دون الله أو يشرك به من (المخلوقات) التي خارج ارادة الانسان في وجودها (الشمس –القمر- حيوان -نبات- جبل وحتى البشر). ومثال على ذلك؛ إنّ العزى كانت وثناً وليست صنماً! وسوف نأتي على استدلالاتها لاحقا.

إن هذا "التعريف الموجز" هو بمثابة "توطئة مهمة" قبل الدخول إلى سرد الآيات الكريمة الواردة بهذا الشأن وحسب الآتي:

**الآيات الكريمة الواردة بهذا الشأن**

١. حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى **النُّصُبِ** وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [١٢].

[١١] . لسان العرب لابن المنظور- المجلد السادس – ص٤٤٣٥

[١٢] . (٣) المائدة

٢. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ **وَالْأَنصَابُ** وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العداوة وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ.[١٣]

٣. وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ **أَصْنَامًا آلِهَةً** إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ.[١٤]

٤. وجاوزنا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ **أَصْنَامٍ لَّهُمْ** قالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ.[١٥]

٥. وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ **أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ**.[١٦]

٦. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ **مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ** الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا **وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ**.[١٧]

٧. وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ **أَصْنَامَكُم** بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ.[١٨]

٨. ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ **الْأَوْثَانِ** وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ.[١٩]

٩. قالُوا نَعْبُدُ **أَصْنَامًا** فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ.[٢٠]

١٠. إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ **أَوْثَانًا** وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.[٢١]

١١. وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ **أَوْثَانًا** مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ.[٢٢]

١٢. وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ* يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن **مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ** وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ داوود شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ.[٢٣]

**النقد والمناقشة:**

لو تفحصنا تلك الآيات الكريمة بأجمعها.. لوجدناها تتحدث مُنكِرةً فعل الشرك والتقديس بصريح العبارة، ولا توجد (آية واحدة) يتناول القرآن ضمن الفاظ (الاصنام-الانصاب-الأوثان- التماثيل) إلا واقرنت بالأداء الشركي. في حين لو نظرنا الى الآية الواردة في (التسلسل ١٢) مما سلف في سورة (سبأ) لتعتبر الوحيدة التي أوردت كلمة (التماثيل) وعملها بغير المعنى الوارد أو الوجهة المقصودة في سائر تلك الآيات في مجال الشرك.

فقد جاءت هذه الآية بنص واضح "تجيز التماثيل" في زمن سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام بكونها كانت تُتَّخذ للزينة. وان موطن الآية لم يُقرن بقضية الشرك. وخصوصاً إن القرآن الكريم بيّن لنا؛ أن (عهد) سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام لم يتخلله "اتخاذ التماثيل كأصنام شركية"!.

---

١٣. (٩٠ - ٩١) المائدة

١٤. (٧٤) الأنعام

١٥. (١٣٨) الأعراف

١٦. (٣٥) إبراهيم

١٧. (٥٢-٥٣) الأنبياء.

١٨. (٥٧-٥٩) الأنبياء

١٩. (٣٠) الحج

٢٠. (٧١) الشعراء

٢١. (١٧) العنكبوت

٢٢. (٢٥) العنكبوت

٢٣. (١٢-١٣) سبأ

أما ما ورد.. بشأن التماثيل على لسان سيدنا ابراهيم ضمن "استفهام استنكاري" لأبيه وقومه في سورة الانبياء قائلا (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ)، فتعليل (المعنى) من جواب (المبنى) على لسان القوم الذي تلي الاستفهام "قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ"، وفي ذلك مفهوم واضح انهم اعتادوا على عبادة تلك التماثيل بكونهم ورثوا هذا الفعل عن آباءهم واجدادهم!، بمعنى؛ انهم فتحوا أعينهم على الدنيا وهم يشاهدوا الاباء والقدوات والاخيار يتمسحون بتلك التماثيل وينذرون لها النذور والقرابين، فكانت العادة والتطبع الغالب في الامر. واليوم؛ البشر يفتح عينيه على الدنيا، ويجدُ أبويه على دين الإسلام أو المسيحية أو اليهودية فيكون على دين ابيه. فيذكرنا هذا المعنى بحديث النبي محمد صلى الله عليه وآلة وسلم حيث قال (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ)[٢٤] . والحديث واضح جدا في ذلك، حيث يُبيّن ان الابناء - في الغالب- يرثون الاديان والعبادات السائدة ضمن البيئة التي يولدون ويترعرعون فيها.

كما إننا؛ لو مررنا على أغلب الآيات التي تتحدث عن اصرار الاقوام على الشرك بالله ثم بحثنا في الحجج من ضمن سياق الآيات لوجدنا الاجابة القرآنية على لسان المشركين منذ أول بادرة شرك وحتى آخرها تتلخص في سرد موحد بـ (إنا وجدنا آباءنا...) وهذا دليل واضح ان انحراف الاديان بأشكالها عادة ما تتوارثه الاجيال.. ولا تتغير الا عند توفر عوامل وظروف تتلاعب في مجرى الاعتقاد. فلفظة (التماثيل) التي وردت في القرآن على لسان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اقرنها الله بمعتقد الشرك، وهي لا تشبه في "مضمون لفظها" لمّا وردت بسورة سبأ. لأن الثانية اقرنها الله تعالى مع الفعل المباح لنبي الله سليمان (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ...).

اما الآيات القرآنية الواردة في شأن (الانصاب والاصنام) كلها ترتبط بعلّة محددة الا وهي الشرك بالله والتقديس. وبذلك فهي تنطق بعلّة ومرض مركب (عقائدي-مجتمعي) كان متجذراً في المجتمع يومئذ.. غير انه لم يبقى بشكله وواقعه ولا حجمه ولا اسلوب تداوله، وإن الإسلام لّما جاء؛ عالج هذا المرض(الشرك) واستأصله من الجزيرة العربية والبلاد التي فتحها إلى غير رجعة.. واستقر مقام التوحيد فيها فكيف حصل هذا؟

عندما بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم نبيّاً لهداية البشرية، جعل خطوته الأولى (تعزيز قيم المناعة) في عقيدة الانسان، وأرجئ مهمة (الوقاية أو العلاج) من تلك الاصنام المعمولة من الحجر أو الشجر إلى بعد حين. وعليه صبَّ اهتمامه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ واله وَسَلَّمَ) في بداية الدعوة على تعزيز قيم المناعة من خلال (تخذيل العلاقة ما بين الانسان وذلك الصنم) الذي يعبده.

فوجه جهده صلى الله عليه وسلم إلى **عزل الانسان عن** الممارسات والطقوس التي يؤديها له لتعزيز روح **المناعة أولا**.. ولذلك نجد اغلب الأحاديث التي وردت في منع عمل التماثيل كانت ضمن العهد المدني وليس المكي، ثم بعد ذلك بث روح **الوقاية**.. من خلال تعطيل العمل بصناعة التماثيل واستنساخها وفق اشكال الاصنام الرئيسية المعبودة. حتى إذا استقر الايمان في مكة والمدينة واغلب الجزيرة العربية، أعلن صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بإن عبادة الاصنام قد انتهت في أرض الجزيرة يومها، وان عناصر (المناعة والوقاية) أخذت مفعولها بالكامل ولا يحتاج الامر سوى "روشتة علاج" لأمور اخرى قد لا ينتبه اليها الانسان.

ويترجم هذا القول ما أخبرنا به النبي محمد صلى الله عليه وسلم فعنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبَدُه الْمُصْلُونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ". [٢٥] وفي رواية أخرى" إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ تُعْبَدَ الأَصْنَامُ فِي أَرْضِ الْعَرَبِ، وَلَكِنَّهُ سَيَرْضَى مِنْكُمْ بِالْمُحَقَّرَاتِ، وَهُنَّ الْمُوبِقَاتُ، فَاتَّقُوا الْمَظَالِمَ مَا اسْتَطَعْتُمْ"، وجاء بلفظ ثالث" إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنْ قَدْ رَضِيَ مِنْكُمْ بِالْمُحَقَّرَاتِ"[٢٦]

ولو اننا فقط اطلعنا على هذا الحديث بأوجهه الواردة في هذا المجال، لأدركنا ان الرسول صلى الله عليه وسلم يتحدث عن رواسخ التوحيد وهو مطمئن على امته من انتهاء الشرك وعبادة الاصنام في جزيرة العرب.. فالمرض قد استُأصِل.. والأمة تعافت منه إلى غير رجعة، ولكنه صلى الله عليه وسلم وجه جمّ تحذيره لامته من الاصنام المعنوية؛ كحب الذات والاعتداد بالراي أو الأفعال والسلوكيات التي تفكك لحمة التواصل والتعايش السلمي... وهو الذي يشكل خطرا قد لا ينتبه اليه الفرد المسلم أو الانسان بشكل عام.

---

[٢٤] . رواه البخاري في صحيحه

[٢٥] . شرح النووي على مسلم - كتاب صفة القيامة والجنة والنار –باب تحريش الشيطان -رقم (٢٨١٢)

[٢٦] . أخرجه أحمد في المسند (٨٥٩٢)

وفعلا الواقع يخبرنا اليوم؛ بأن المشكلة الحاضرة ليست عبادة تماثيل أو تقديسها، بل تتلخص في ابعد من ذلك بكثير، فاليوم الافكار تؤطر القول بان (الدين خرافة). وبالمقابل هناك من يعتبر الفن والثقافة (سخافة)، وكلا الطرفين يستخدم الفاظاً (محقرّات) تحت تأثير وافرازات صراع الافكار وتقاطع المفاهيم والفلسفات. فالأولويات تحتاج من العلماء تقديم خطوة لتقريب الحوار بين افراد الامة والمجتمع الواحد باختلاف افكاره [٢٧]. كما ان هذه المحقرات لم تأت من عمل! بقدر الفراغ! المتأتي من عجز العلماء في ترك محدثات الامور تأخذ طريقها في واقع الامة دون تجديد منهجي.. لاسيما وجهل الابناء ممن انتهج واحتذى بفكر الغرب فكرا وممارسة.

اننا اليوم؛ لم نرى أو نسمع عن فنان يحمل ديانة سماوية ولو شكلياً، يدعو الناس نحو عبادة عمله الفني، بل الانسان المتلقي في العالم كله؛ يستخف اليوم من الفنان الذي يدعوهم إلى تقديس العمل الفني! فالفكرة بمجرد ذكرها ساقطة ولا قيمة لها، كونها لا تمت بصلة للواقع المعاصر –لا اعتقادا ولا ممارسة - وما بينها وبين حالها يفصل دهر من الزمن. كما ان لفظة (التماثيل) التي ورد ذكرها في القران الكريم صنفان: صنف تُعبَد من دون الله.. وهذه وردت بألفاظ واسماء متعددة، ومن البديهي أن نقول؛ أنّ مثل هذه التّماثيل يُحرّم على كل من يؤمن بالله واليوم الاخر صُنعها أو بيعها، لأن فيها إعانة على الشرك بالله. ويقابلها "الصنف الثاني" والتي لا تطابق الوجهة الأولى ولا مقصدها.. والتي أتى ذكرها بصريح العبارة في القران الكريم في سورة سبأ والتي اوردناه في (التسلسل ١٢): فهذه التماثيل لم تتخذ للعبادة، وفي ذلكم جوازها ضمن النص القرآني بكونها اعدت للجمال والزينة، وبكونها تخلو من علّة الشرك أو التقديس أو المضاهاة! شأنها شأن تماثيل العاب البنات [٢٨].

ولو اننا أمعنا بالآية في قوله تعالى" يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ" لوجدنا ان الله تعالى قد اقرن التماثيل مع صناعة الجفان والقدور، وهي الامور المتعلقة بالتوظيفات الحياتية.. وان النص صريح لا يتصل بأي امر يخالف العقيدة بقولة "يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ.." وما يشاء هنا اي ما يريد ويرتئيه للضرورة وغير الضرورة، والله اعلم.

ويتضح لنا استدلالاً؛ ان (علّة الشرك) في زمن سليمان عليه الصلاة والسلام كانت متحددة في عبادة الكواكب أو الشمس أو تقديس الملوك -ضمن مفهوم يعتبر ان نسل الملوك (لاهوتيا) يعود اقرارا تسلسليا إلى الاله المتحُكم بالكون - فقد ذكر القران الكريم على لفظ هدهد سليمان في سورة النمل قائلا" وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ".[٢٩]

ويوضح المفهوم القرآني؛ من خلال المعجزات التي صاحبت الانبياء، بأن الله تعالى قد أيّد كل نبي مُرْسلٍ بمعجزات تضاهي ما يتميز به زمانه! فمثلا: في زمن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام كان السحر يعلو على كل شيء.. فأيده الله بأن جعل بمعجزة (العصا).. وفي زمن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام كان الطبُّ متميزاً بيد أنه يعجز عن مداوة كثير من الاسقام ومنها العمى أو البرص؛ فأيده الله بشفاء الناس مما استعصى على الطب.. فضلا عن احياء الموتى والتحدث معهم.. وفي زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان الشعر وبلاغة القول عند العرب في أبهى صوره واعلاها، فأيده الله بالقران الكريم والذي تحدى الله فيه من يأتي بآيةٍ من مثله بمستوى نظمه وبلاغته. اما في زمن سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام وحيث كان الانبهار بالنفوذ والسلطان والمنعة والقصور والعروش والحلي، والزينة والابهة والجمال.. بكونه السمت الطاغي في الحياة يومئذ- وهو الامر الذي أوصل بعض الناس إلى اتخاذ ملوكها كآلهة- فأيدهُ الله بالمُلْك والتمكين وبسط النفوذ وما صاحبها من الخوارق والابداعات الفنية التي تفوق ما يفرزه الواقع يومئذ وبما يتفوق على غيره من ملوك الارض في القوة والمنعة والابداع. " قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ"[٣٠]. وهذا التمكين الذي جعل قلوب (الانس والجان) وفق جميع المستويات تنصرف طائعة للنبي سليمان عليه الصلاة والسلام وما جاء به من الحق. فمثلا؛ (بلقيس) كانت ملكة سبأ -والتي ذكرها القران بانها تملك قومها إلى حد (الاستعباد)- وعندها من النفوذ

---

[٢٧] . يرى الباحث ان (مؤتمرات حوار الأديان) قد أوجدت لتعميق الهوة والفرقة بين الاديان، فالأولى الاهتمام بعقد مؤتمرات حوار الافكار والثقافات وهي كفيلة ان تلملم الخلافات وتطوي المسافات بين الإنسانية جمعاء.

[٢٨] . سوف نتناول الحديث فيها في النظرة اللاحقة حول عدم اعتراض النبي محمد صلى الله عليه وسلم على تماثيل الالعاب للاطفال .

[٢٩] . النمل (٢٤)

[٣٠] . سورة ص (٣٥)

والجاه والمال والمنعة والعرش العظيم وما فيه مرصع من ذهب وجواهر نفيسة.. وان من ثقله لا يتزحزح عن الارض. ولكن؛ ما إن دخلت صرح النبي الملك سليمان -وكان صرحا من الكريستال بأرضية شفافة تمكن الناظر من مشاهدة أجمل مخلوقات الله البحرية سابحة في الماء- وفيه من الصور والتماثيل التي تزين ذلك الصرح العظيم، فما كان لها بدٌ من أن تصاب بالانبهار من هذا المشهد.. فكشفت عن ساقيها! بعدما ظنت انها ستخوض في الماء خوضا! "قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا" فأخبرنا القرآن ان الامر اتى من سليمان بالكف "قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ "[٣١]

وتجدر الإشارة: ان (الإبداع الفني) عندما يتحقق بأعلى مستوياته فسوف يقلب المعادلات.. بحيث تتغير القناعات عند أغلب المتعنتين!، وإن الإبهار من شأنه ان يسوق الظالمين إلى الحق سوقاً! وهذا لسان حال ملكة سبأ لمّا قالت " رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ". وهذه الإجابة المرادفة للاستفهام الذي طرحناه القائل: (هل البلد الذي يمتلك العديد من فنانين مبدعين بالإمكان ان يمتلك قدرة التأثير على ثقافة البلاد التي دون ذلك؟) والجواب: نعم.

ان القران الكريم تحدث لنا عن صنفين من التماثيل؛ صنف يتخذ للعبادة وهو الذي يقع ضمن الدائرة المحظورة. وصنف آخر لا علاقة له بالسابق بكونه يتخذ للزينة والجمال وإلى ذلك من الأمور التي تصب في حاجة الانسان كما بيّناه آنفا.

## مبحث النظرة الرابعة

### أبرز الأحاديث الشريفة التي استند إليها العلماء في تحريم التصوير والتماثيل

لقد بيّنا ان النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد واجه قضايا الشرك والجاهلية ضمن ثلاثة مستويات (تعزيز المناعة - فرض الوقاية- علاج الاثر).. والمرجح في الامر؛ ان جميع الأحاديث الشريفة التي تحمل خطابا تحذيرياً.. ضمن الوعيد بأشكاله -للحد من التعامل مع الصور والتماثيل التي تتخذ للعبادة- كانت ضمن مرحلة (فرض الوقاية) ضمن العهد المدني.. وإن أغلبها جاءت "تحذر وتحرم العمل في صناعة التماثيل" التي اتخذها مجتمع الجزيرة العربية للعبادة.

وقد وردت الأحاديث بعدة أوجه ومن عدة رواة، لكن سردها كلها سيطول. ومن أجل عدم اسباغ الموضوع "بتكرار ممل"؛ اخذنا أبرز تلك الأحاديث الشريفة وأرجحها -ضمن ما اتفق على صحتها عند جمهور العلماء- لنناقشها تبياناً "كمفهوم واستدلال" بعد اتمام سردها.

**الأحاديث الشريفة**

النص الأول: روى البخاري ومسلم عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله " [٣٢]. والمضاهاة ان تصنع شيئاً يوازي صنعة الله. كما وورد بلفظ اخر" ان أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة المصورون".

النص الثاني: روى الشيخان[٣٣] وأصحاب السنن عن عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نمرقة[٣٤] فيها تصاوير، فلما رآها النبي صلى الله عليه وسلم قام على الباب فلم يدخل، قالت: فعرفت في وجهه الكراهية، فقلت يا رسول الله: أتوب إلى الله ورسوله ماذا أذنبت؟ فقال: ما بال هذه النمرقة؟ قلت: اشتريتها لك لتقعد عليها وتَوَسّدها، فقال صلى الله عليه وسلم: إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، فيقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وقال: إنّ البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة.

النص الثالث: روى مسلم في صحيحه، عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي عليٌّ رضي الله عنه (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ألاّ تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلاّ سويته)[٣٥].

---

[٣١]. النمل (٤٤)

[٣٢]. صحيح البخاري-كتاب اللباس - باب ما وطئ من التصاوير – ص -٤٠١ رقم الحديث ٥٦١٠

[٣٣]. وبقصد البخاري ومسلم حسب لفظ العلماء يومئذ.

[٣٤]. والنمرقة هي الوسادة التي يتكئ عليها وجمعها نمارق وقد ذكرها الله في سورة الغاشية بقوله " ونمارق مصفوفة"

[٣٥]. صحيح مسلم –كتاب الجنائز-باب الامر بتسوية القبر- الجزء الثاني – ص ٦٦٧.

النص الرابع: روى الشيخان والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم ذكر بعضُ نسائه كنيسةً يقال لها (مارية) وكانت أم سلمة، وأم حبيبة أتتا أرض الحبشة، فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها، فرفع صلى الله عليه وسلم رأسه فقال: (أولئك إذا مات فيهم الرجلُ الصالحُ، بنوا على قبره مسجداً، ثمّ صوّروا فيه تلك الصور، أولئك شرارُ خلق الله).[٣٦]

النص الخامس: ما جاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً (كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفساً، فيعذبه في جهنم) [٣٧].

النص السادس: الحديث القدسي الذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تعالى "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة " [٣٨]

النص السابع: روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام، في ساعة يأتيه فيها، فجاءت تلك الساعة، ولم يأته، وفي يده عصا فألقاها من يده وقال (ما يخلف الله وعده ولا رسله) ثم التفت، فإذا جرو كلب تحت سريرة فقال:(يا عائشة؛ متى دخل هذا الكلب ههنا)؟ فقالت: والله ما دريت! فأمر به فأخرجه، فجاء جبريل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (واعدتني، فجلست لك، فلم تأت) فقال: منعني الكلب الذي كان في بيتك، إنّا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة [٣٩].

النص الثامن: روى البخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال له: إني أصوّر هذه الصور فأفْتني فيها، فقال له: إدْنُ مني؛ فدنا ثم قال: ادن مني فدنا، حتى وضع يده على رأسه وقال: أنبئك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعته يقول: (كلّ مصوّر في النار، يُجعل له بكل صورة صوّرها نفس فيعذبه في جهنم). قال ابن عباس (فإن كنت لا بدّ فاعلاً فصوّر الشجر، وما لا روح فيه)[٤٠] .

وفي رواية أخرى عنه: سمعته يقول: (من صوّر صورة فإنّ الله يعذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً) ثم قال له ابن عباس: إن أبيت إلاّ أن تصنع، فعليك بهذه الشجر، كل شيء ليس فيه روح.

النص التاسع: روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها[٤١] ستر، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة (لعب) فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي؛ ورأى بينهن فرسًا لها جناحان من رقاع فقال صلى الله عليه وسلم: ما هذا الذي أرى وسطهن؟ قالت: فرس؛ قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان؛ قال: فرس له جناحان؟! قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلًا لها أجنحة، قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه [٤٢].

النص العاشر: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(من صوّر صورة في الدنيا، كُلِفَ أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ)[٤٣] .

**المناقشة**

ذكرنا بعضا من الأحاديث التي استند إليها العلماء في تحريم العمل (بالرسم والنحت) لذوات الارواح، وهناك "أحاديث عدة" وردت بهذا الشأن، ولكن حُسبنا هذه؛ وهي ليست بالهينة. فما ان يطلع على ظاهرها اي (انسان) حتى يعرف ان نتيجة (الرسام والنحات) في الاخرة الا ومُظلمة والعياذ بالله! لكن بالمقابل هناك أحاديث تبين اجازة النبي صلى الله عليه وسلم لأنواع من تماثيل(اللعب)، وقد اخذنا وجهاً واحداً منها.

ومن خلال تلك الأحاديث الشريفة وغيرها التي استند اليها العلماء في قضية تحريم التصاوير والتماثيل، يتبين لنا ان الموقف يتشكل في التحريم ضمن العلل الاتية:

---

[٣٦] . صحيح البخاري - باب بناء المسجد على القبر - رقم الحديث ١٢٧٦

[٣٧] . الامام العلامة بدر الدين العيني- عمدة القاري-الجزء الحادي عشر- ص٣٢٠

[٣٨] . العلامة علي بن سلطان القاري - مرقاة المفاتيح - ج ٨- ص٣٢٨

[٣٩] . ابي حجر العسقلاني –فتح الباري- ج١٣ – ص٤٧٧

[٤٠] . محمد علي الصابوني - روائع البيان تفسير آيات الأحكام - ج ٢-ص٤٠٧

[٤١] . السهوة هي شبه الخِزانة الصغيرة يكون فيها المتاع.

[٤٢] . وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في الكويت -الموسوعة الفقهية - ج ١٢-ص١١٢

[٤٣] . محمد بن سعيد بن بسيوني زغلول- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف - ج ٨-ص٣٧٩

العلّة الأولى: تقديس التماثيل لإصحابها تقديساً دينياً، والتقديس يسبق الشرك، فلولا ان اصحاب التماثيل غير مقدسين لدى البشر، لما صنعت لهم تماثيل ثم كان الشرك بها مع الله وعبادتها تبعا للتقديس.

العلّة الثانية: تدور حول الشرك بالله وما يتعلق بالسبل والوسائل المؤدية للشرك.

العلّة الثالثة: تدور في مضاهاة الله الخالق فيما خلق اي ان صانع التماثيل في قرارة ذاته يبني (نيّةً واقراراً) لفعل مبدأه (انا أخلق كما خلق الله) والعياذ بالله. وقد قسمنا المناقشة تبياناً للأحاديث المذكورة آنفا لخمسٍ مما سنذكره ضمن التبويب الاتي:

**المسألة الأولى:** قبل كل شيء يجب ان نوضح؛ ان هناك مسألة أصولية خلافية قديمة، منذ زمن الصحابة ألا وهي: هل نطبق حرفية النص؟ أم روح النص؟ بمعنى هل علينا أن نطبق النص بحرفتيه وعلى ظاهره، أم نحاول أن نفهم روحه والمراد منه ومقصده؟ فقد اختلف الصحابة في هذا الامر في كثير من المواطن. ولا يخفى على الكثير حديث صلاة العصر في بني قريظة، فبعض الصحابة رضوان الله عليهم فهموا النص على ظاهره، والبعض الاخر فَهِم النص وفق الغرض والعلّة المقصودة منه. وأقر الرسول صلى الله عليه وسلم الطرفان.[٤٤]فالاختلاف في فهم النص وارد، وخصوصا ان كثير من المواقف والعلل كان بعض العلماء يرى خطابها بذات الرسول صلى الله عليه وسلم والبعض الاخر يرى في تعميمها. فمثلا؛ سنَّ الله على نبيه عبادات وجوبا.. لم يسنها على امته الا نافلة !، فقيام الليل فرض على النبي صلى الله عليه وسلم يوميا " يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا *" [٤٥].

امرٌ آخر؛ كان عليه الصلاة والسلام يمتنع عن اكل الثوم والبصل ويكره رائحتهما. لأنه يناجي الملائكة، غيرانّ "البصل والثوم" غير محظورين على امته، وكذا امور كثيرة كَرِه الرسول صلى الله عليه وسلم استخدامها، ولكن لم يعكس كُرهها على سائر امته. فمسالة الصور والكلب في بيت النبي صلى الله عليه وسلم.. فالملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب أو صورة من بيوت النبي صلى الله عليه وسلم والتي كانت عبارة عن حجرات ملاصقة لمسجد، فضلا عن ان البعض من العلماء قال " ان المقصود بها ملائكة الوحي وليس كل ملائكة"، والا فبيوت العالم اليوم مملوءة بتماثيل وصور ويدخل لهم ملك الموت ويقبض أرواحهم ولا يوقفه وجود كلب أو صورة.. لا سيما الملائكة المنوطة بالأرزاق.

ومثل هذا؛ ما رواه مسلم عن عائشة، وقالت كان لنا ستر فيه تمثال طائر، وكان الداخل إذا دخل استقبله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " حولي هذا فاني كلما دخلت فرأيته، ذكرت الدنيا " فلم يأمرها عليه الصلاة والسلام بقطعه وانما امرها بتحويله من مكانه في مواجهة الداخل إلى البيت، وذلك كراهةً منه عليه الصلاة والسلام، ولاسيما انه كان يصلي السنن والنوافل كلها في البيت، ومثل هذه الانماط والاستار ذات التصاوير من شأنها ان تشغل القلب عن الخشوع والاقبال الكامل على الله تعالى.

وبهذا يتبين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقر في بيته وجود ستر فيه تمثال طائر ووجود قرام فيه تصاوير[٤٦].

بل ثبت ذلك عن التابعين بجواز تعليق الصور ذوات الارواح دون هتكها بعكس ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته في بعض الحالات، فقد روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن ابن عون قال: "دخلت على القاسم وهو بأعلى مكة في بيته، فرأيت في بيته حجلة[٤٧] فيها تصاوير القندس والعنقاء "[٤٨]. قال ابن حجر: "والقاسم بن محمد أحد فقهاء المدينة، وكان من أفضل أهل زمانه، وهو الذي روى حديث (النمرقة).. فلولا أنه فهم الرخصة في مثل الحجلة ما استجاز استعمالها"[٤٩]. وهذا دليل على ان الكثير من النواهي والمكروهات التي حدث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اهله انما تخص ظرفه وحاله "كنبي مرسل" ينزل عليه الوحي من السماء من جانب.. و"كنموذج وقدوة" في الزهد من جانب ثان.

---

[٤٤] . عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: ((قال النبي، صلى الله عليه واله وسلم، يوم الأحزاب: لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال: لا نصلي حتى نأتيهم، وقال بعضهم: بل نصلّي؛ لم يُرد منا ذلك، فذُكر ذلك للنبي، صلى الله عليه سلم، فلم يعنِّف واحداً منهم)) متفقٌ عليه، واللفظ للبخاري وهي حادثة نقض بني قريظة للعهد وغدرهم بالمسلمين.

[٤٥] . سورة المزمل (١-٢)

[٤٦] . د. يوسف القرضاوي-المصدر السابق- ص١٠٧

[٤٧] . الحجلة: هي كالقبة من القماش توضع على السرير للستر.

[٤٨] . المصنف لابن ابي شيبة المجلد الأول ص ٢٥٣ ، وهو القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق احد فقهاء المدينة السبعة.

[٤٩] . ابن حجر العسقلاني- فتح الباري - ج ١٣- ص ٤٧٢.

وهنا سؤال يطرح نفسه: لماذا الرسول صلى الله عليه وسلم يعاتب أهله في(نمرقة)فيها صور ويقول كما جاء بالحديث "إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة.." إلى آخر الحديث.. في وقت انه اجاز بعضاً منها واكتفى بتحويلها عند استقباله للصلاة، فضلا عن ان (القاسم) رضي الله عنه اباح لنفسه تعليق صور على شكل قُنّدس وعنقاء وهما من ذوات الارواح؟ فهل تفكرنا في الفرق؟ فالفرق يقع في التوظيف لا أكثر، لأن تماثيل (اللعب والفرس بجناحين وصور القُندس والعنقاء) لم تكن توظف للشرك، غير ان الرسول لمّا زجر اهله بصور النمرقة وامر بقطعها وعملها كوسائد.. بكونها صورا شبيهة بذات الأصنام التي كانت تعبدها العرب وتقدسها من دون الله يومئذ، ولكنها منسوجة على قماش النمرقة، وهذه عادة المشركين عند اعتزازهم بآلهتهم، فانهم يطلبون من النساجين عمل صور شبيهة بآلهتهم حباً وتقديسا لها، والا فكيف نفهم وجه التناقض. فقد ورد في كتاب (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) "إن أهل الجاهلية كانوا يتقربون إلى الصور. كما كانوا يزينون بيوتهم بالصور وبالنسيج المصور، كما كانوا يستعملون ستائر ذات صور، ويلبسون ملابس ذات صور ورسوم" [٥٠]. ففرق بين صور على اقمشة ومنسوجات تطابق صور الاصنام التي تعبد ويشرك بها مع الله تعالى، وبين صور اخرى على اقمشة أو منسوجات لحيوانات لا تعبد.

نحن نتذكر بيوتات الناس في العراق حتى نهاية سبعينيات القرن الماضي كان "سمت تزيين الجدران" بمنسوجات القطيفة التي فيها صوراً لراعي واقف وأغنام أو جمال تعبر صحراء وما إلى ذلك، وكنت اراها –وانا صغير- في بيتنا وبيوت جيراننا وبيوت الاقارب عند زيارتنا لهم. وهذ التزيين قبل دخول "سمت الحداثة" والتغريب في الديكور والتزيين.. ولم تكن هذه مشكلة في بيتنا أو بيوت جيراننا، لأنها تتخذ للزينة أولا، سيما وان صور الحيوانات والبشر التي كانت موجودة "لم تكن من المقدسات" التي تعبد من دون الله وفي ذلكم فرق كبير.

وعليه؛ عندما زجر الرسول عليه الصلاة والسلام اهله بسبب صورة (النمرقة) المرجح بكونها صورا مستنسخة للأصنام التي كانت تعبد من دون الله ولهذا قال عليه الصلاة والسلام فيها "إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة.. " إلى اخر الحديث.. والله اعلم.

**<u>المسألة الثانية:</u>** لا يختلف اثنان ممن يؤمنون بالله واليوم الاخر بأن الاصنام والصور التي تتخذ "بنيّة فاعلها" لأجل أحياء "الصنمية" والشرك لتعتبر ضمن دائرة الحظر! وهو ما اشار له الرسول صلى الله عليه وسلم في معظم أحاديثه وأنذر فاعله بالعذاب.

ولكن كذلك اجاز التماثيل التي تتخذ للعب البنات (الدمى) وعللها جمهور العلماء لمقتضيات تعليمهن على شؤون البيت مستندين بحديث عائشة في صغرها. فقد ورد عندما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم السيدة عائشة وهي بنت تسع، دخلت ومعها تماثيل تلعب بها، وقد نقل القاضي (عيّاض) عن جمهور الفقهاء أنّهم أجازوا بيع هذه اللعب لتدريب البنات على إدارة شؤون الأطفال، واعتبروه من الأغراض المعتبرة شرعاً.[٥١] وهنا نشير؛ ان السكوت عن تماثيل الالعاب من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم "إقرارا بالإباحة" بكونها خالية من علّة الشرك والمضاهاة خارج التبريرات المجانبة، فيفترض ان التماثيل بأشكالها كانت محظورة حتى تجدد الكلام في هذه الحادثة!، والا كيف اجاز ابو بكر الصديق رضي الله عنه ان يسمح لبناته باستخدام تماثيل لعب ويدخلها بيته ومن ضمنها "فرس بجناحين" وهي حتما مصنوعة من الطين أو الحجر أو الخشب ايضا؟! ، إلا اذا إنه فهم اباحتها لخلوها من علّة التقديس والشرك والمضاهاة قبل ان يتحدث الرسول بذلك ؟!، بل الأمر حتما غير مقتصر على بيت ابي بكر رضي الله عنه ، والارجح كانت تماثيل اللعب متداولة بين بيوتات العرب والمسلمين وليس مقتصرا على بيته بكر أو بيت الرسول صلى الله عليه وسلم إن لم تكن تباع في الاسواق. ومن جانب ثان: اليوم وفي حاضرنا؛ هناك بلادا تتخذ شعوبها من القرود والبقر(آلهة) يعبدونها ويقدسونها، فكيف اذا كانت هناك (لُعَباً) أو زينة تمثل قرودا أو بقراً وهذه لا علاقة لها بتعليم البنات على التربية؟ فهل نخشى على ابنائنا ان يقلدوا أفعال تلك البلاد؟ فنحرّم استيراد هذه الالعاب تجنبا للتشبه بتلك الاقوام؟! ام إنّ امر الإسلام اضحى فطرة واكتساب ولا نجد من سيتفكر في اتخاذها للشرك. وان التقاليد التي تتفشى بين أولئك الاقوام ليس بالضرورة انها ستوائم حياتنا.

ان اجازة التماثيل التي تفرغ للعب انما اجيزت لما سقطت منها (العلّة) التي تتعلق بالشرك أو التقديس أو المضاهاة حتى ولو كانت دقيقة الصنع شبها بالإنسان أو الحيوان، وينسحب القياس في هذا الامر نحو الصور والتماثيل التي لا تتبعها علل التحريم "التقديس -الشرك- المضاهاة"، فيتم القياس اسوة بتلك اللعب التي خلت من علل التحريم.

---

[٥٠] . جواد علي - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – المجلد ٨- التصوير- ص ٨٨.

[٥١] . ونقله للجواز صحيح، لكن تعليله فيه مأخذ!، فقد تحدّثت عائشة عن بنات(لعب) لها وكان معها (فرس له جناحين)، فما علاقة هذه اللعبة بتربية الأولاد؟

ولا يفوتنا ان جزءا من تلك التماثيل التي اجازها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عبارة عن فرس بجناحين لا علاقة له باللعب وتعليم البنات وما إلى اخره وإنما للزينة. حيث أن زوال الحُكم مرتبط بزوال العلّة؟!. فلُعيبات البنات في زمن الجاهلية ووصولا للإسلام هي (تماثيل) لبنات أو صبيان أو حيوانات، وحتما كانت مصنوعة من الحجر أو الخشب أو الطين أو غيره. وتماثيلنا اليوم غرضها أيضاً لأجل الزينة والجمال واللعب والتعلم شأنها -بالقياس والحُكم - شأن العاب البنات ليس أدنى. وإن انماط التفكير التي كانت تتداول في صدر الإسلام وقبله، لم تبقى على ما كانت اليوم، ولا تشبهه، فلكل زمن ظرفه ولكن مجتمع حُكمه ومقصده واهتماماته.

نعم كان التمثال يدعى صنما لأنه يعبد من دون الله، اما اليوم فواقع التماثيل لا تعبد ولا تقدس، وانما تستخدم لأغراض الحياة. فعند الاطفال بدقة صنعها "تماثيلهم" شانها شان غيرها، ولكن استخدامها للعب واللهو سميت (لعبة) وجمعها العاب. وكذلك وسيلة الايضاح العلمية بدقة تفاصيل هياكلها العظمية وتجسيد احشاء الانسان فهي "تماثيل" ايضا شانها شان غيرها، ولكنها سميت وسيلة ايضاح لأنها تتخذ لغرض علمي لا علاقة له بالشرك والتقديس وجمعها وسائل.

كما أنّ هناك تماثيلا تقوم على تجسد احوال وعادات وقصص الشعوب التراثية والموجودة في كثير من البلدان ومنها في العراق وبغداد خاصة[٥٢] ،ما ان يدخل الزائر لها حتى يتعرف ويتعايش مع العادات والتقاليد (البغدادية القديمة) التي رحلت وتغيرت بفعل متغيرات الحياة والحداثة. وهي تماثيل تعبر عن عينيات لواقع حياة قد اندثرت ولكن يطلق عليها مجازيا (تحفة) وجمعها (تحف). فغرضها لتتحف الزائر بالمعلومة بدون دليل سياحي أو مرشد. وكذلك الأعمال المنصوبة في شوارع المدن والعواصم في الوطن العربي والعالم هي ايضا تماثيل، ولكنها سميت اعمالا فنية لأنها اتخذت لذلك. فلم تقدّس الطفلة لعبتها، ولم يُقدّس المدرس أو الطالب وسيلة الايضاح، ولم يُقدّس الزائر للمتحف أو ذات التحفة، وكذلك لم يقدسّ الفنان عمله في النحت أو الرسم.

**المسألة الثالثة:** كلنا قد سَمِعَ بـ(العزى) أحد الأوثان التي كان العرب يعبدونها ويقدسونها. وهي عبارة عن بناء يقع على (ثلاث سُمُرات) [٥٣]... فقطع خالد بن الوليد رضي الله عنه تلك السُمُرات وهدم ذلك البناء، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك، فقال له: هل رأيت شيئًا؟ قال: لا، قال: فارجع إليها، فرجع خالد وهو متغيّظ، فجرد سيفه، فخرجت إليه (امرأة عريانة سوداء) ثائرة الرأس-أي شعر رأسها منتشر- تحثو التراب على رأسها، فجعل السادن يصيح بها، أي يقول: يا عزى عوّريه.. يا عزى خبليه، فضربها خالد فقطعها نصفين وهو يقول: يا عزى كفرانك لا سبحانك.. إني رأيت الله قد أهانك. ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك، فقال: نعم تلك العزى.

وهنا وقفة للتدبر؛ ان الناس الذين يعبدون (العزى) ليس لهم علم بوجود امرأة حتى أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا. فقد كان المشركون يمرون على البناء وعلى تلك السُمرات ويسألونها فتجيبهم، ويظنون ما يظنون دون ان يعرفوا ان في داخلها امرأة!، وهذا الامر فات الجميع لاسيما وخالدا، حتى اخبرَهُ النبي صلى الله عليه وسلم.

والسؤال هنا: لماذا لم يوصي النبي صلى الله عليه وسلم ان تُقطع كل شجرة تشبه صنف "السُمُرات" خشية عبادتها من البعض؟! سوى ان الامر كان مناطا بتلك (السّمرات والبناء) دون غيرهن -واللائي كُنّ جزءا لا يتجزأ من كل- من الاشجار وان تشابهن في الصنف، وهذا دليل على ان ما يعبد يزال، وما لا يعبد وان تشابه في الصنف يترك.

امر آخر في قضية شجرة الرضوان في الحديبية؛ عندما بدأ الناس يجتمعون يصلوّن عند شجرة في طريق الحديبية في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه ظنّا منهم بانها شجرة التي تمّ تحتها "بيعة الرضوان" للنبي صلى الله عليه وسلم.. في وقت ان الشجرة الاصل قد فقدت أو جرفتها السيول كما تناولها الحاكم فقال " ثمّ إنّ الشجرة فُقدت بعد ذلك، فلم يجدوها، وقالوا: إنّ السّيول ذهبت بها، فقال سعيد بن المسيب: سمعت أبي – وكان من أصحاب الشّجرة – يقول: قد طلبناها غير مرّة فلم نجدها" [٥٤]، وأمر عمر رضي الله عنه بقطع الشّجرة

---

[٥٢] . يسمى المكان الذي يحتويها "المتحف البغدادي" وهو عند جسر الشهداء في جانب الرصافة في بغداد

[٥٣] . السُمُرات ومفردها سَمُرة وهي ضربٌ من شجرِ الطَلح التي تأكله الإبل. وقيل ايضا انه نخل لا تمر فيه.

[٥٤] . الحاكم –كتاب معرفة علوم الحديث- ص ٦٥.

الّتي توهّموا أنّها الشّجرة الّتي بايع الصّحابة النبيّ صلى الله عليه وسلم تحتها بيعة الرّضوان لمّا رأى النّاس ينتابونها ويصلّون عندها كأنها المسجد الحرام أو مسجد المدينة [٥٥] .

ويتبين لنا؛ ان ازالة الوسائل التي تودي إلى اذى الانسان أو انحرافه فكريا أو عقائديا في زمن ومكان محددين، لا ينسحب على امثال تلك الوسائل في زمن ومكان آخرين وخصوصا إذا خلت من علتها التي اقترنت بالوسيلة في الزمان والمكان المعينين.

**المسالة الرابعة:** إننا لو عدنا إلى اجازة بن عباس رضي الله عنهما في رسم الشجر، لوجدنا ان هناك ما يعارض قوله في (المعنى والمبنى) ضمن الحديث القدسي الذي حدثنا به الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقول: قال الله تعالى "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة "[٥٦].

فالحبة والشعير نبات انقطع عن الحياة، ولكننا نجد ان الله تعالى في الحديث القدسي يتوعد وينذر كل من يضاهي الله تعالى ويتحداه في ان يأتي بمثله أو يضاهيه، فكيف اجاز العلماء رسم الشجر وهو حي نابت ليس بمقطوع باستنادهم على قول بن عباس؟! وعندنا حديثاً قدسياً مرتبته ضمن ابواب التشريع يقدم على مذهب الصحابي فيتقاطعان؟ وكيف نأخذ بمذهب الصحابي في وقت يقاطعه أصل امتن منه؟.

الاّ إذا قرأنا الامر وفق الآتي: ان مجتمع الجزيرة العربية ذاته بدأ يتغير مفهومه ونظرته للصور والتماثيل تدريجياً، وخصوصا عندما تعافى المجتمع والجزيرة العربية بكاملها من الصنمية والوثنية وتعددهما، وقابلها رسوخ مبدأ (التوحيد)[٥٧] ، فهذا ممكن ومعقول جدا.

**المسالة الخامسة:** ان الانسان بفطرته يرتبط بخالقه، ويعكس اسماءه الحسنى وصفاته العلا من خلال مبادرات وجدانية (ارادية أو لا إرادية) أكثر مما هي عقلانية، فيرحم ويصبر ويكرم ويعفو، بكونه يستمد هذه الأفعال "النسبية" من أصل الفطرة المستمدة من صفات الذات الالهية "المطلقة". وبما فطر الله عباده على ذلك، فاذا رحم انسان ضمن -الصفة النسبية- فهو لا يضاهي الله تعالى الرحمن الرحيم بصفته المطلقة. وعندما يغفر كذلك لا يضاهي الله الغفور. فالإنسان بفطرته النسبية يحاول ان يتناغم بأفعاله مع ما يليق بجلال الله المطلق. وعندما يبتغي ان يصور مخلوقا؛ فلا يعني انه يضاهي الله المصور، بل انه يتخذ من هذا الوصف تعبيرا وتجسيماً لقيم الجمال.. أو تصوير اي كلام يؤثر في الوجدان ضمن تعبير صوري، ومثال على ذلك؛ الشاعر الذي يمهر فيما يجيده من تصوير من خلال الكلام والنظم، فيحول المعلومة والحالة الكلامية إلى صورة وصفية وتجسيم افتراضي يتخيله ويتلذذ به المتلقي كل حسب مستوى تذوقه، وكذا الفنان يحول الصورة الكلامية- شعراً كانت ام وصفا- إلى صورة ببعدين أو ثلاثة ابعاد، فيبدأ بتقريب الصورة الوصفية الكلامية المجردة إلى صورة وصفية عينية مرئية، وفي ذلكم تتفاوت المهارات.

**المسالة السادسة:** نحن لا زلنا نناقش تمثالا صنعه فنان من حجر أو خشب أو طين في واقعه (اصم بلا حركة) من اجل اعتباره أو تخريجه من علّة المضاهاة، في وقت ان اليابان دخلوا في (صناعة روبوت شبيه جدا بالإنسان)! وتسأله في اي شيء ويجيبك. فما القول فيه؟ أليس فيه مضاهاة لخلق الله تكاد تكون الاعظم من الرسم والنحت.

ان قضية (الشرك أو المضاهاة) قضية (فكرية) صرفه في صلب العقيدة "تَعْظُم وتضأل وتتغير" وفق القناعات والمفاهيم للمعنى، وليس وفق الوسائل المادية. بل لا سلطة للأمور المادية على الامور المعنوية دفعا أو تأثيرا. فأننا نمتنع أو نقطع سبيل الامتداد الحضاري والمدني المعاصر من خلال تمسكنا بحرفية نصوص تحدثت عن علّة ومشكلة لا محل لها في واقع حاضرنا.. في وقت هنالك فسحة في فهم الامور التي تتقاطع مع مصالح البلاد. ان الإسلام دين منفتح على التيسير مادام يصب في مصلحة الفرد أو الامة، وما خُيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا واختار ايسرهما، وكذلك ما عرض عليه امرا الا وقال (لا بأس) مالم يكون حدا من حدود الله أو حق من حقوق الناس. فليس من الانصاف ان نرفع حُكم ا إلى الدرجة القطعية بمستوى احكام الحدود في وقت ان علّته زالت من الاصل.

---

[٥٥] . ابن تيمية – كتاب اقتضاء الصّراط المستقيم -ج١ص٣٠٦.

[٥٦] . رواه البخاري (٥٩٥٣) كتاب اللباس / ٩٠ - باب نقض الصور.

[٥٧] . راجع شرح النووي – المصدر السابق- نفس باب – الحديث" إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ...الخ"

**مبحث النظرة الخامسة**

**ردود أفعال الصحابة تجاه الرسوم والتماثيل ضمن عصر الفتوحات**

دخل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قصر كسرى في المدائن، وفي ذلك القصر صورٌ كثيرة على الجدران وتماثيل ولم يأمر بإزالتها أو طمسها هدمها ابداً، بل بقيت حتى العهود اللاحقة، بل ولم ينكر عليه أحد من الصحابة. قال الطبري: " لما دخل سعد المدائن فرأى خلوتها، وانتهى إلى إيوان كسرى، أقبل يقرأ: (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين) وصلى فيه صلاة الفتح-وهي لا تصلى جماعة- فصلى ثماني ركعات لا يفصل بينهن، واتخذه مسجداً وفيه تماثيل الجص: رجال وخيل، ولم يمتنع – ولا المسلمون لذلك– وتركوها على حالها. قال: وأتم سعد الصلاة يوم دخلها، وذلك أنه أراد المقام فيها، وكانت أول جمعة بالعراق جمعت جماعة بالمدائن في سنة ست عشرة ".[٥٨]

وقال الذهبي: (كانت على جدران إيوان كسرى صور ملونة بالحجم الطبيعي مرسومة بدقة فائقة) [٥٩].

وما تزال مثل هذه الصور إلى يومنا هذا في المواقع الاثارية في إيران والتي فتحها المسلمون يومئذ، فهذه لم تكن مدفونة في الرمل طبعاً، وهذا القصر دخله عدد كبير من الصحابة وأقاموا فيه، فكيف لم يروا الصور وهي واضحة؟!اليس في هذا إجماع منهم على جواز إبقائها؟ بكونها لم تكن تعبد من دون الله ولم تكن لها أي قدسية؟ وان ابقاءها لخلوها من العلّة دليل على جوازها. وربما هناك من يشير إلى صعوبة ازالتها أو عدم القدرة على الهدم، ولكن ممكن "ان يكون الطمس بديلا" عن الهدم أو جزءا منها، وهذا لا يحتاج لنفقة كبيرة ولا لتسخير عدد هائل من الناس، ومن السهل أن يأمر قائد الجيش بطلي الجدران من جديد. لكن لم يبق من الامر إلا أنهم فهموا أحاديث طمس الصور بأنها خاصة بما كانت له قدسية أو ما كان يعبد من غير الله. بينما تلك الصور استمرت كشواهد يصفها المؤرخون والأدباء. قال ياقوت الحموي:

(وقد كان في الإيوان صورة كسرى أنو شروان. وقيصر ملك أنطاكية وهو يحاصرها ويحارب أهلها) [٦٠].

وأما دعوى البعض بقولهم إنهم كانوا طوال تلك السنين الطويلة مشغولين..، فهي دعوى لا أظن صاحبها مقتنع بها، إلا أنه لم يجد غيرها. فهل صَعُب على سعد بن أبي وقاص أو أحدٍ من الولاة بعده.. أن يأمر بطلي تلك الجدران التي عليها الصور.. وأما إنكار أن يكون الصحابة قد رأوا تلك الصور.. فمكابرة وجحود.

فإيوان كسرى هو أكبر المباني في المدائن، ودخول المسلمين إليه عند الفتح متواتر مشهور لا ينكره أحد وقد ملأته الصور والتماثيل، وقد قيلت بها الأشعار حتى وصفها الشاعر العباسي الشهير البُحتري[٦١] في قصيدته "السينية" الرائعة وهو يصف هذه الصور بأنها من الدقة بحيث يكاد يتخيلها حقيقة فيلمسها بيده ليتأكد من أنها مجرد صورة فيقول في قصيدته:

حَضَرَت رَحلِيَ الهُمومُ فَوَجَّهـ*** ـتُ إِلى أَبيَضِ المَدائِنِ عَنسي

أَتَسَلّى عَنِ الحُظوظِ وَآسى *** لِمَحَلٍّ مِن آلِ ساسانَ دَرسِ

نَقَلَ الدَهرُ عَهدَهُنَّ عَنِ الـ *** ـجِدَّةِ حَتّى رَجَعنَ أَنضاءَ لُبسِ

فَكَأَنَّ الجرمان مِن عَدَمِ الأُنـ *** ـسِ وَإِخلالِهِ بَنِيَّةُ رَمسِ

لَو تَراهُ عَلِمتَ أَنَّ اللَيالي *** جَعَلَت فيهِ مَأتَمًا بَعدَ عُرسِ

وَهوَ يُنبيكَ عَن عَجائِبِ قَومٍ *** لا يشاب البَيانُ فيهِم بِلَبسِ

وَإِذا ما رَأَيتَ صورَةَ أَنطا *** كِيَّةَ اِرتَعتَ بَينَ رومٍ وَفُرسِ

وَالمَنايا مَواثِلٌ وَأَنوشِر *** وانَ يُزجى الصُفوفَ تَحتَ الدِرَفسِ

وَعِراكُ الرِجالِ بَينَ يَدَيهِ *** في خُفوتٍ مِنهُم وَإِغماضِ جَرسِ

مِن مُشيحٍ يَهوى بِعامِلِ رُمحٍ *** وَمُليحٍ مِنَ السِنانِ بِتُرسِ

---

[٥٨] . تاريخ الطبري (ج ٢|ص٤٦٤)

[٥٩] . تاريخ الإسلام للذهبي (ج٣|ص١٥٨).

[٦٠] . ياقوت الحموي معجم البلدان (ج١|ص٢٩٥).

[٦١] . هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي، واشتهر بالبحتري نسبة إلى" بحتر "وهي قبيلة يمنية الأصل، ولد بمنبج في الشام ٨٢٠ م وتوفي في٨٩٧م

تَصِفُ العَينُ أَنَّهُم جِدُّ أَحيا *** ءَ لَهُم بَينَهُم إِشارَةُ خُرسِ

يَغتَلي فيهِم ارتِابي حَتّى *** تَتَقَرّاهُمُ يَدايَ بِلَمسِ

طبعاً القصيدة طويلة..، ولهذا اخترنا منها الابيات التي تدعم القول.. والسؤال يطرح نفسه؛ لماذا ترك الصحابة الصور في إيوان كسرى؟ بل الم تكن دار خلافة المسلمين في زمن سيدنا علي بن ابي طالب (عليه السلام) في الكوفة وسط العراق، وكانت اذرع حُكم الإسلام عابرة لبلاد فارس، فلِمَ لمْ يأمر بإزالتها وهو امير المؤمنين يومها؟ وربما سيقول البعض "أن علينا إتبّاع الحديث فقط وترك عمل الصحابة".. وهذا مرفوض عجاب، فهل يفعل الصحابة أو آل البيت أمراً من هوى أنفسهم؟! أليست أفعال آل البيت والصحابة وأقوالهم هي ترجمة لتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم؟ فلا آل البيت.. أو الصحابة رضوان الله عليهم تركوا أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا نحن نفعل! "إلاّ ان يكونوا قد فهموا النصوص بغير ما فهمها المخالف". كما وان الصحابة هم الذين رووا لنا تلك الأحاديث والتي قيلت لهم، ففهمهم مُقدم عند التعارض، وإجماعهم أحد مصادر التشريع بعد القران الكريم والسنة النبوية. كما إننا سمعنا اقوالا لبعض المؤيدين لهدم التماثيل أياً كان غرضها، ومدعياً أن التماثيل الفرعونية كانت مطمورة بالرمال ولم تكن ظاهرة على عهد الصحابة...! ولم تظهر للعيان إلا قبل مئتين من السنين! وهذا (القول فيه ضعف) للتتبع في التاريخ، فكتب التاريخ مليئة بالأخبار التي تنص على معرفة المسلمين بها، ومن ذلك ما قاله الجاحظ -وقد عاصر الأئمة مالك والشافعي وأحمد- وهو يعدد عجائب الدنيا فقال: "وصنم الهرمين وهو بلهوية ويقال (بلهنيت) وأسمه اليوم (أبو الهول)، ويقال إنه طلسم للرمل لئلا يغلب على الجيزة ".[٦٢]

وقال ياقوت الحموي: "وعلى ركن أحدهما (يعني الهرمان) صنم كبير يقال له (بلهنيت)، ويقال إنه طلسم للرمل لئلا يغلب على كورة الجيزة، وهو صورة رأس آدمي ورقبته وكتفيه كالأسد وهو عظيم جداً. وهو صورة مليحة كأن الصانع فرغ منه عن قرب، وهو مصبوغ بحمرة موجودة إلى الآن مع تطاول المدة وتقدم الأعوام" [٦٣]. ولنتتبع كذلك ما قاله ابن فضل في مسالك الابصار[٦٤] وكلام البغدادي في الإفادة[٦٥] (وقد كان عدد الصحابة الذين دخلوا مصر أكثر من ثلاثمائة) [٦٦]. وإن أول مدينة حاصروها هي مدينة "عين شمس"[٦٧] : وهي مشحونة بالتماثيل الكبيرة، كما ذكر ذلك عبد اللطيف البغدادي في رحلته حيث قال: "ومن ذلك الآثار التي بعين شمس؛ وهي مدينة صغيرة يشاهد سورها محدقاً بها مهدوماً، ويظهر من أمرها أنها قد كانت بيت عبادة. وفيها من الأصنام الهائلة العظيمة الشكل من نحت الحجارة، يكون طول الصنم زهاء ثلاثين ذراعاً، وأعضاؤه على تلك النسبة من العظم. وعلى معظم تلك الحجارة وتصاوير الإنسان وغيره من الحيوان كتابات كثيرة بالقلم المجهول"[٦٨]. وقد سكن الصحابة "الفسطاط والجيزة" وهما قريبان جداً من الأهرامات.. ومن الجدير بالذكر أن الأهرامات نفسها كانت مكسوةً "بتصاوير لغة الفراعنة" التي بعض حروفها على شكل طيور وحيوانات. قال البغدادي عن الأهرامات: "وعلى تلك الحجارات كتابات بالقلم القديم المجهول الذي لم أجد بديار مصر من يزعم أنه سمع بمن يعرفه. وهذه الكتابات كثيرة جداً، حتى لو نُقل ما على الهرمين فقط إلى صحف، لكانت زهاء عشرة آلاف صفحة"[٦٩]، كما وذكر مثل ذلك المسعودي في تاريخه [٧٠]، وابن تغري في النجوم [٧١]. وعليه فالصحابة الذين دخلوا مصر، جزماً رأوا (أبو الهول) وتصاوير الأهرامات.. فضلاً عن تماثيل (عين شمس) التي لا شك ولا ريب أنهم رأوها بعد فتحها، ودخولهم في المدينة. هذا إضافة إلى أصنام مدينة (منف) الفرعونية -وغيرها- التي يجزم المؤرخون أنهم رأوها، لكثرة عدد الصحابة وطول مكثهم في مصر. وهي التي يقول عنها البغدادي: "وأما الأصنام وكثرة عددها وعظم صورها، فأمر يفوت الوصف ويتجاوز التقدير، وأما إتقان أشكالها

---

[٦٢] . السيوطي -حسن المحاضرة (٣|٦٥).

[٦٣] . ياقوت الحموي المرجع السابق (٥|٤٠١)

[٦٤] شهاب الدين العمري-مسالك الأبصار في ممالك الامصار-الجزء الأول ص ٢٣٥.

[٦٥] البغدادي الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر(ص٩٦).

[٦٦] . السيوطي في "المرجع السابق" (١|١٦٦)

[٦٧] . كما ورد عند ابن كثير في البداية والنهاية المجلد ٧|٩٨ص

[٦٨] . البغدادي – المرجع السابق ص ٩٦

[٦٩] . البغدادي -المصدر نفسه (ص٩٢)

[٧٠] تاريخ المسعودي ج١ ص ٣٦١

[٧١] البغدادي -المصدر نفسه (ص١٠٢)

وإحكام هيئاتها والمحاكاة بها الأمور الطبيعية، فموضع تعجب بالحقيقة" [٧٢]. وهذا كله يؤكد ترك الصحابة للصور والتماثيل على حالها ربما أحد اسباب ذلك، بكونها لم تكن تتخذ كوسيلة للشرك، ومعلوم لدى القاصي والداني بان (الفُرس) كانت تتخذ من (النار) كوسيلة للشرك وليست التماثيل. فلا قيمة لإزالة الصور وهي لا تعبد.. وهذا امر يعضّد قضية الحُكم بعلته لا بذاته. لقد ذكرنا قصر كسرى مجرد كمثال، ومثلها التماثيل الكبيرة التي بقيت في العراق والشام ومصر وعموم بلاد الهند والسند.

والجدير بالذكر؛ انه ليصعب على اي باحث ان يجد تمثالا كان يعبد من دون الله (باقيا لوقتنا) الحاضر الا نادرا، بكونها اختفت. فلا (هبل ولا اللّات) ولا غيرها، بينما سائر التماثيل بعظمتها لازالت شاخصة في الواقع وتملأ متاحف العالم. نعم؛ قد حصل تحطيم لبعض التماثيل كأصنام في السند وبلاد ما رواء النهر. فعندما وجد الصحابة أقواماً لازالوا عاكفين على عبادتها، اسوة بما حصل في جزيرة العرب نفسها في عهد البعثة النبوية. أما في غير ذلك فلا. ولواننا تمعنّا في حديث النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم الذي أوردناه سلفا القائل فيه " إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدُه الْمُصَلُّونُ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ".[٧٣] وفي رواية اخرى" إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ تُعْبَدَ الأَصْنَامُ فِي أَرْضِ الْعَرَبِ، وَلَكِنَّهُ سَيَرْضَى مِنْكُمْ بِالْمُحَقَّرَاتِ وَهُنَّ الْمُوبِقَاتُ، فَاتَّقُوا الْمَظَالِمَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ". وقد وكأن الصحابة اخذوا تصريحا من الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم الخشية من تلك التماثيل بأشكالها وانواعها، لأنهم أصبحوا محصنين فكريا منها، وقد تجاوزوا مراحلا في التفريق بين ان يكون لك اله واحد وبين ان تتعدد الآلهة، ولكن الخشية عليهم بما سيفعله الشيطان بالإيقاع بينهم في مسائل المظالم، فلا ادري كيف فات الاستدلال على الكثير؟

بالرغم من كثرة التماثيل التي ذكرناها واحجامها ودقة نحتها، الا ان الصحابة الكرام لم يهدموا شيئاً منها، فهل كانوا عاجزين عن هدم تلك التماثيل؟ وحتما لا، وغير صحيح من يظن ذلك. لأنهم حطموا حصن بابليون وأسوار نهاوند في فارس، ونقبوا كثيرا من الحصون التي حاصروها، وهي حصون عظيمة عليها حراسات مشددة ترمي المسلمين بالسهام حالة نقبهم وهدمهم لها. أتراهم عاجزين عن تشويه وجوه تلك التماثيل على الأقل؟ طبعا كلا. الاّ انهم عرفوا ان "ابو الهول" وغيره لا خطر فيهن على العقيدة، بكونه لم يكن من التماثيل التي تتخذ للعبادة. واما مسألة نفي رؤيتهم لها مجرد مكابرة ورغبة في حب الانغلاق، ولا بأس إذا أحب الانسان ان يغلّق الامور على نفسه، ولكن لا يحق له ان يعمم ذلك على الناس كافة.

**مبحث النظرة السادسة**

**أحكام وفق القواعد الفقهية:**

**القاعدة الفقهية: "الحُكم يدور مع علته وجودا وعدما"**

لقد أزْهبنا -فيما سلف- في ذكر مصطلح (علّة) وجمعها (علل) منذ بداية البحث، وربما هناك من قال: وما معني ذلك وما أهمية (العلّة)؟ وللمطلع الحق في معرفة ما يعني مصطلح (العلّة) واهميتها. وكنا نفضل ان يكون هذا التوضيح في بداية البحث، ولكن سياق الحديث والمناقشة يتطلب أسلوباً تصاعدياً، وصولا إلى الخلاصة لتكتمل الصورة.. بشكل تسلسلي دون قفز أو صعاب.

فالمقرر لدى علماء الأصول؛ أن (العلّة) فرع للأصل؛ لاستنباطها من حُكمهِ، وأصلٌ للفرع لبناء حُكمه عليها، وذلك باتفاق جميع العلماء. والعلّة هي الركن الأعظم في القياس[٧٤]، ومن ثم فلا يصح قياس بدونها، وفيما يلي التعريف بالعلّة لغة واصطلاحا.

**فالعلّة في اللغة:** اسم لِما يتغير حُكم الشيء بحصوله أخذاً من العلّة التي هي المرض؛ لأن تأثيرها في الحُكم كتأثير العلّة في ذات المريض، فيقال: أعتل فلان. إذْ انتقل من الصحة إلى المرض.

**والعلّة اصطلاحا:** هي التي تُعرّفنا بالحُكم مع أن الحُكم سابق للعلة. لأن الحُكم هو خطاب الله الأزلي. والحُكم معرَّف بالنص وعليه الوصف لذلك الحُكم، لا يتصور معرفته إلا بعد معرفة الحُكم. وبذلك فإن العلّة تكون (المُعَرِفةُ) للحُكم. وأن الحُكمة هي المؤثرة في الحُكم. وبقدر مناسبة العلّة للحِكمة تكون العلّة نفسها مؤثرة في الحُكم. وبذلك فالقاعدة من ثلاث اقسام ضمن المثال الآتي:

---

[٧٢] . ابن تغري – النجوم الزاهرة – ج١ ص ٤١

[٧٣] . أخرجه مسلم (٢٨١٣)

[٧٤] . {القياس هو الاصل الرابع من ضمن الاصول الاربعة في احكام الشريعة الإسلامية (القرآن-السنة-الاجماع-القياس) وهو عملية الحاق واقعة لا نص على حكمها.. بواقعة ورد نص بحكمها ضمن الحكم الذي ورد به النص، لتساوي الواقعتين في علة هذا الحكم} عز الدين بليق- منهاج الصالحين- ص٥٤٥.

العلّة: الشرك أو التقديس أو المضاهاة.

الحُكم: تحريم العمل بالصور والتماثيل.

الحِكمة: مظنّة الوقوع في المحظور.

ان (العلّة) تقابل المرض، و(الحُكم) يقابل الدواء أو العلاج لذلك المرض. فإذا زال المرض أبتغى زوال الحاجة للدواء (الحُكم). فحُكم تحريم العمل بالرسم والنحت ليس تحريماً لذاته، وانما تحريماً لعلل تصب في الحِكمة التي هي مظنة فساد الدين في جوانب الشرك والتقديس أو المضاهاة. وبما ان عمل الفنانين اليوم أمسى في وجهته منزّهاً من تلك العلل.. ومبتغين منه التنافس الحضاري في الجمال والفن والثقافة.. فان حُكم التحريم المرتبط بهذه العلل من المفترض ان يعطل ويراجع الحُكم وفق واقع المفسدة! لا التعميم مظنة الوقوع بها. فالحُكم الشرعي مرتبط بعلته "وجودا وعدماً" لا بحِكمته، بمعنى أنه يوجد حيث توجد العلّة وإن تخلّفت الحكمة. كما "ينتفي الحُكم" حيث "تنتفي العلّة" وإن وجدت الحِكمة. وهذا "لُبّ" الفهم وخلاصته.

ان استعادة هويتنا الحضارية أو اي شكل من اشكالها، يُفضي إلى ان لا نجعل سيرنا مع التيار فننجرف ونذوب، ولا ضد التيار فنهلك ونموت ولكن في اعلى التيار لاستعادة ثقة الامة وقدرتها ومكانتها بالتوافق مع فعالية الانساق الحضارية الاخرى على ارض الواقع.

فغياب المشروع المتكامل، والانجرار نحو الصراع الفكري بموقف الضد المواجه للأفكار المتعددة دون حوارها والتعامل والدخول في حيز المشاركة معها، والتمسك بمبدأ (الدوغماتية) بفكرة الخطاب الموجه من (صهوة السيادة) وحتمية الولاء له دون القبول بالنقاش في الأحكام أو الإتيان بأي دليل ينقضها.. كانت بمثابة تغييبا لقيمة الإسلام -فكرا ومنهجا- بان يكون له موطئ قدم في صناعة الحضارات ضمن وقتنا المعاصر.

**النتائج والمناقشة**

وضوح كالشمس؛ فالتشريع الإسلامي ليس بمنهج الغائي انعزالي.. بل منهج مكمل ومتمم ومتصل بما سبقه فقد قال نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم -:

" إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"[٧٥].

وضمن البديهية؛ جاء الإسلام بامتدادين:

الأول: مرتبط بقضية التوحيد كامتداد عقائدي متصل مع الاديان السماوية السابقة وصولا إلى آدم عليه الصلاة والسلام، والآخر: مستقبلي تجددي حتى قيام الساعة. فلا يمكن للإسلام ان "يتقولب" وفق فهم محدد لزمان أو مكان ما. كونه دين يرتبط بالحياة من بداية الخليقة حتى الفناء. ولذا فالإسلام يكون في المسجد والمدرسة والمؤسسات والشارع وحتى السينما والمعرض التشكيلي.. الخ.

ولهذا؛ جاء الإسلام ليعالج الافكار والممارسات والرواسب الجاهلية ومنها قضية الشرك كمعالجة ايجابية من وسط المجتمع والسعي بالتغيير من خلال امتزاج المسلمين بالمجتمعات الاخرى، وليس من منطلق العزلة عنهم.

وكانت اساليب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تتسم بجودة عالية في مجال "حسن التعامل والممارسة ولين الكلام" مع جميع اصناف البشر وباختلاف اعمارهم وامزجتهم ومراتبهم قال تعالى: "فبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وشاورهم فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" [٧٦].

وجاءت النتائج مبهرة لمحو عقيدة (سقيمة) من الجزيرة العربية بالكامل ضمن فترة لا تزيد عن ٢٣ عاما. وتكاد ان تكون هذه المدة؛ "مسألة قياسية تعجز ان تحسب رياضيا" وخصوصا ان (السقم) كان مبدأ متوارث ومتجذر بعمقه في مجتمع الجزيرة وما حولها من مئات السنين.

لابد ان نوقن؛ إن انماط التفكير التي كانت تتداول في فترة ما قبل الإسلام وبدايته قد تغيرت عما كانت اليوم.. فلا تشبه انماط الأفكار المتداولة حاليا. فلكل زمن ظرفه ولكل مجتمع حُكمه ومقصده واهتماماته.

---

[٧٥] . أخرجه البخاري كتاب المناقب باب خاتم النبيين

[٧٦] . آل عمران (١٥٩)

نعم كان (التمثال) يدعى صنما؛ لأنه يُعبد من دون الله. أما اليوم فواقع التماثيل تتخذ لتوظيفات الحياة فلا تعبد ولا تقدس. فعند الاطفال تكون التماثيل -بدقة صنعها- للعب واللهو، وعليه سميت (لُعبة) وجمعها العاب أو لُعب. ووسائل الايضاح العلمية في المدارس والجامعات بدقة تفاصيل هياكلها العظمية وتجسيديات احشاء الانسان فهي ايضا "تماثيل" شانها شان غيرها، ولكنها تسمى "وسائل ايضاح" لأنها تتخذ لغرض علمي لا علاقة له بالشرك والتقديس ومفردها وسيلة. واخرى التي تجسد احوال وعادات وقصص الشعوب التراثية والموجودة كتماثيل في كثير من البلدان ومنها في العراق وفي بغداد خاصة[٧٧].. ما ان يطلع الزائر عليها، حتى يتعرف ويتعايش مع العادات والتقاليد البغدادية القديمة التي رحلت وتغيرت بفعل ثورات الحروب الحداثة والتفكك.. وهي تماثيل ولكنها بمثابة عينيات لواقع حياة اندثرت، فيطلق عليها مجازيا " تحف فلكلورية" لأنها اتخذت لهذا الغرض فتتحف الزائر بالواقع المفقود من غير مرشد. وكذلك الأعمال المنصوبة التي تزين شوارع المدن والعواصم في الوطن العربي والعالم هي ايضا تماثيل، ولكنها سميت (اعمالا فنية) لأنها اتخذت لقيم الجمال والزينة. فلم نجد الاطفال يقدّسون لعيباتهم، ولا المُدرّس أو الطالب يقدّسان وسيلة الايضاح، وما دخول الزائر للمتحف الا للتعرف على احوال الماضي وليس التقديس، وكذلك الفنان لم يقدسّ عمله في النحت أو الرسم. وحقاً هنا يتجلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم القائل فيه (إنما الأعمال بالنيّات، وإنما لكل أمرئ ما نوى. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله. فهجرته إلى الله ورسوله. ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[٧٨] .

**الاستنتاجات**

إن غالبنا يدرك إن اي وسيلة في الحياة فيها (وجهان) ضمن الغاية والتوظيف.. اما (سلبية أو إيجابية). فالنشاط النووي إذا استخدم كأداة للجريمة في ظرف وزمن ومكان ما.. لا يعني ان نلغي استعمال النشاط النووي في حياتنا لأنه ساء استخدامه في زمن وظرف كان مشحونا بالسلبية. وكذا الإبقاء على الحُكم على ما كان عليه حتى بعد (زوال علته) بكل أوجهه -مظنة العودة للشرك وتقديس البشر- لا يُرّجح. فالأحكام الشرعية لا تقوم على (الظن) بل على اليقين. وان الجمود على اشكال النصوص (ثلمة) في العلم الشرعي وفقه العلماء والفكر.

فعندما بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم نبيّاً لهداية البشرية، جعل خطوته الأولى (تعزيز قيم المناعة) في عقيدة الانسان، وأرجئ مهمة (الوقاية أو العلاج) من تلك الاصنام المعمولة من الحجر أو الشجر إلى بعد الفتح. وعليه صبَّ اهتمامه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ واله وَسَلَّمَ) في بداية الدعوة على تعزيز قيم المناعة من خلال (تخذيل العلاقة ما بين الانسان وذلك الصنم) الذي يعبده. وبذلك ميّز الصحابة الكرام خلال فترة الفتوحات (شرقاً وغرباً) بين التماثيل التي تعبد من دون الله وبين التماثيل التي تخلو من ذلك. فحطموا الأولى وأهملوا الثانية.. ولم يهملوها خوفاً او عجزاً وانما لأنها لم تخصص للعبادة ومنها؛ أبو الهول كأكبر تمثال على وجهة الأرض.

**References:**

The Holy Quran.

Al-Bukhari, M. ibn I. (n.d.). *Sahih Al-Bukhari*. Dar Ibn Kathir.

Ibn Manzur, M. ibn M. (n.d.). *Lisan Al-Arab* (Vol. 6).

Ibn Taymiyyah, A. ibn A. H. (n.d.). *Iqtidaa Al-Sirat Al-Mustaqim*. Al-Risalah Al-Alamiyah.

Ibn Kathir, I. A. F. (n.d.). *The Beginning and the End* (Vol. 7). Dar Ibn Kathir.

Ibn Abi Shaiba, A. B. A. M. (n.d.). *Al-Musannaf*. Al-Rashid Library.

Al-Basyouni, M. (1992). *Translation of Art Education Terms*. Dar Al-Maaref.

[٧٧] . يسمى المكان الذي يحتويها "المتحف البغدادي" وهو عند جسر الشهداء في جانب الرصافة في بغداد

[٧٨] . متفق عليه

Al-Baghdadi, A. L. (n.d.). *Benefit and Consideration in Observed Matters and Inspected Incidents in the Land of Egypt*.

Ibn Taghri, Y. A. M. (n.d.). *Shining Stars in the Kings of Egypt and Cairo*. Dar Al-Kutub.

Ibn Hanbal, A. ibn M. (n.d.). *Musnad of Imam Ahmad*. Dar Al-Hadith.

Al-Hakim Al-Nishaburi, M. ibn A. (n.d.). *Knowledge of Hadith Sciences*. Dar Ibn Hazm.

Al-Hattab, M. ibn M. A. R. (n.d.). *Mawahib Al-Jalil for Explaining Mukhtasar Khalil*. Dar Al-Hadith.

Al-Hamawi, Y. A. (n.d.). *Dictionary of Countries*. Dar Sadir.

Al-Sharbini, M. ibn M. (n.d.). *Mughni Al-Muhtaj ila Ma'rifat Ma'ani Al-Faz Al-Minhaj*. Dar Al-Kutub Al-'Alamiyyah.

Al-Dhahabi, S. A. D. (1990). *History of Islam*. Dar Al-Kutub Al-'Arabi.

Riyad, A. F. (n.d.). *Formation in the Fine Arts* (5th ed.). Dar Al-Nahda Al-'Arabiyyah.

Zaghloul, M. B. S. B. (n.d.). *Encyclopedia of the Aspects of the Noble Prophetic Hadith*. Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah.

Al-Suyuti, J. A. R. (n.d.). *Hassan Al-Muhadara fi Tarikh Misr wa Al-Cairo*. Dar Al-Fikr Al-'Arabi.

Al-'Umari, I. F. A. D. (2010). *Masalik Al-Absar fi Mamalik Al-'Amsar*. Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah.

Al-Sabooni, M. A. (n.d.). *Rawae' Al-Bayan: Tafsir Ayat Al-Ahkam*. Al-Ghazali Library.

Al-Tabari, M. J. (n.d.). *History of Al-Tabari*. Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah.

Ibn Abidin, M. A. O. (n.d.). *Rad Al-Muhtar ala Al-Durr Al-Mukhtar*. Dar 'Alam Al-Kutub.

Abdul Hamid, M. (2002). *Fine Arts from an Islamic Perspective*. Dar Zain.

Ibn Hajar Al-Asqalani, A. A. (n.d.). *Fath Al-Bari*. Dar Taiba.

Ali, J. (1993). *Al-Mufassal in the History of the Arabs before Islam* (Vol. 8, 2nd ed.).

Al-'Ayni, B. A. (n.d.). *Umdat Al-Qari in Explaining Sahih Al-Bukhari*. Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah.

Al-Qari, A. ibn S. (n.d.). *Marqat Al-Mafatih*. Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah.

Al-Qaradawi, Y. (n.d.). *The Permissible and the Forbidden in Islam*. Dar Al-Quran Al-Karim.

Al-Masoudi, A. A. A. (2005). *Meadows of Gold and Mines of Gems* (1st ed.). Modern Library.

Muslim, M. ibn H. (n.d.). *Sahih Muslim*. Cairo.

Al-Nawawi, Y. ibn S. (n.d.). *Al-Nawawi's Explanation*. Dar Al-Salam.

Ministry of Endowments and Religious Affairs in Kuwait. (n.d.). *Jurisprudence Encyclopedia*.